الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

البعد التداولي للاستفهام في سورة آل عمران من خلال منهج الشيخ أطفيش في كتابه "تيسير التفسير"

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية و آدابها

تخصص: علوم اللغة

إشراف الأستاذ الدكتور:

يحي بن يحي

إعداد الطالبة:

حفصة وينتن

أعضاء اللجنة المناقشة

الدكتور	مهدي عز الدين شنين	رئيسًا
الأستاذ. الدكتور	يحي بن يحي	مشرفًا
الدكتور	محمد مدور	مناقشًا

السنة الجامعية:

{2016/2015م}

{1436هـ/1437هـ}

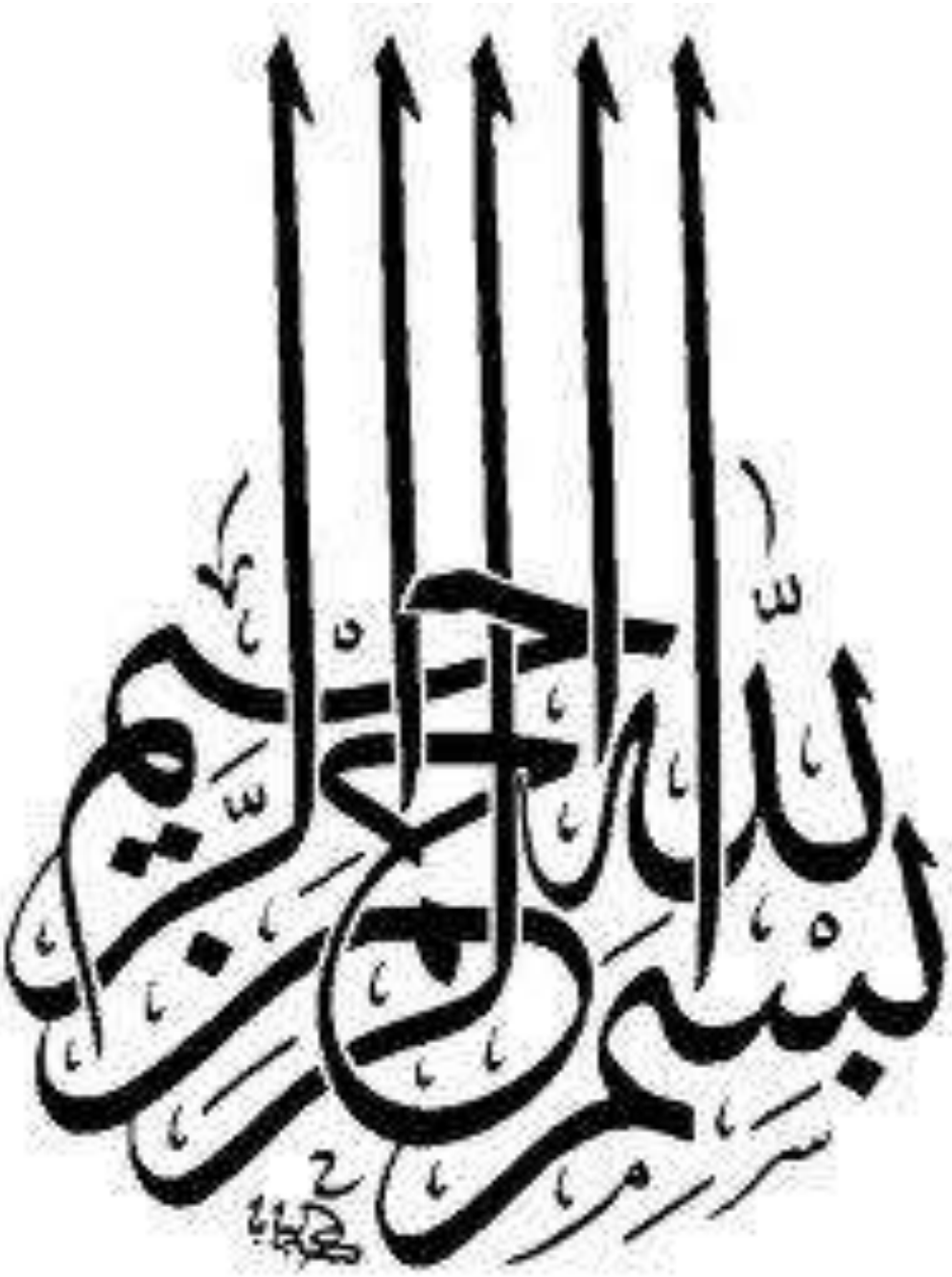
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدّم بالحمد والشكر لله تعالى على ما وهبني إياه من العزم والمقدرة على كتابة هذا العمل.

أتقدم بالشكر الخاص والامتنان الخالص والتقدير الفائق، وأعمق معاني الثناء للأستاذ الدكتور: {يحي بن يحي}، لتفضله بالإشراف على هذا البحث، ولما بذله من جهد وصبر في تقويمه وتزويده بمصادره، وإغنائه بفيض معلوماته وإنارته بنصائحه وتوجيهاته السديدة، واثرائه بآرائه العلمية القيمة التي أسهمت بشكل كبير في إتمام هذا البحث والذي كان خير عون لي في إنجاز هذا العمل، فجزاه الله خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناته.

كما أعبر عن شكري وتقديري للدكتور: محمد مدور، الذي قدم لي كل المساعدات بنصائحه وتوجيهاته فالشكر الجزيل له فجزاه الله كل الخير.

و أتقدّم بالشكر الخاص إلى كل من ساعدني في استكمال هذه المذكرة فجزاهم الله خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتهم

وأتقدم بالشكر لموظفي المكتب الجامعية كلية الآداب واللغات على مساعدتهم فجزاهم الله خيرًا.

الملخص

تسعى التداولية إلى دراسة اللغة في الاتصال أي في جانبها الاستعمالي، وهذا بالرجوع إلى طرفي الخطاب كالمتكلم والمتلقي ومقاصدهما مع السياق بكل أنواعه، وهذا لغرض الوصول إلى المعاني الذهنية العميقة وفهم العملية التخاطبية بشكل صحيح، وهذا ما نجده في البلاغة العربية إلا أنّنا نجدها سابقة للتداولية في اهتمامها بأطراف الخطاب والسياق وظروف إنتاج الخبر، أي الجانب التواصلي للغة والسبب في اهتمام البلاغيين واللغويين بالجانب الاستعمالي للغة هو القرآن الكريم الذي أغلب معانيه ضمنية والأسلوب والصيغة الواحدة تحمل العديد من المعاني المتعلقة بالمتكلم والمخاطب، وخاصة في أسلوب الاستفهام الذي تتنوع معانيه حسب السياق والمتكلم والمتلقي وخاصة في القرآن الكريم، وهذا البحث يسعى إلى الربط بين كل هذه العناصر وهي الدراسة الغربي الحديث وهي التداولية في جانبها الأفعال الكلامية والحجاج التداولي، وأسلوب الاستفهام والتراث العربي من البلاغة والقرآن الكريم سورة آل عمران وتفسير الشيخ أطفيش، وفي الأخير أخرج بنتيجة هي استنباط الأبعاد التداولية للاستفهام من القرآن الكريم وتفسير الشيخ أطفيش وهنا يتحقق الربط بين التراث العربي القديم والدراسات الغربي الحديثة وهذا ما نسعى إليه.

Le pragmatique a pour but l'étude des langues dans la communication dans le domaine de son utilisation prenant en considération les deux interlocuteurs et le sujet du débat dans le but d'atteindre le sens profond et le comprendre correctement et c'est ce qu'on trouve dans l'éloquence de la langue arabe qui fait partie du patrimoine arabe sauf qu'elle précède le pragmatisme donnant plus d'importance aux interlocuteurs et aux circonstances de l'information dans le coté communicatif de la langue, les linguistes s'y interessent énormement à cause du Saint Coran dont la plupart de ses sens sont implicites, la meme phrase peut avoir plusieurs sens concernant les interlocuteurs surtout dans les différentes interrogations qui portent des sens multiples selon les partenaires du débat précisément dans le Saint Coran, cette recherche vise a connecter entre tous ces élements dans le pragmatique dans ses actes de paroles et d'argumentations, le style d'interrogation, le patrimoine arabe dans l'éloquance et le Saint Coran (Sourat Al Imarane et l'interprétation de Cheikh Tfyeche) finalement on peut avoir comme résultat les dimentions pragmatiques de l'interrogation à partir du Saint Coran et de l'interprétation de Cheikh Tfyeche, là se réalise le lien entre l'encien patrimoine arabe et les récentes études occidentales.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

تعتبر التداولية من العلوم اللسانية الحديثة التي اهتمت بدراسة اللغة كباقي العلوم اللسانية الأخرى ولكن ما يميز التداولية أنها خرجت عن دائرة اهتمام اللسانيات من عناية ببنية اللغة ونظامها إلى دراسة اللغة في جانبها التواصلي المتعلّق بالسياقات والمواقف الاتصالية، وهو ما لم يهتم به اللسانيون السابقون، والتداولية تسعى لحل العديد من المشاكل اللغوية التي أهملتها اللسانيات البنيوية والوظيفية والتوليدية التحويلية، وذلك من خلال الإجابة على العديد من التساؤلات التي باتت عائقاً يعيق عمل اللغويين واللسانيين من مثل: ماذا نفعل حين نتكلّم؟، ماذا نقول بالضبط؟ من يتكلم إذن ولمن؟، ومع من يتكلّم؟، وغيرها من الأسئلة، وعليه يمكن القول إنّ التداولية تقوم بدراسة اللغة في الاستعمال أي الاهتمام بالجانب التواصلي والاستعمالي للغة، بإخضاع الخطاب اللغوي إلى الظروف المحيطة به من السياق ومقاصد المتكلم وظروف إنتاج الخطاب ومدى تأثير ذلك الخطاب في المتلقي، التداولية التي تعود جذورها إلى الفلسفة قامت بتطوير البحث اللغوي وساهمت في حلِّ العديد من المشكلات اللغوية.

مما لا شك فيه أنّ للتداولية علاقة كبيرة ومتنوعة بمختلف العلوم، وفي مختلف الاتجاهات الفلسفية منها والسيميائية والسسيولوجية واللسانية والبلاغية، حيث تعتبر هذه الأخيرة نقطة التقاء وتقاطع كبير مع التداولية، هذا بالنظر إلى طبيعة البحث التداولي الذي يعتني بالمتكلّم و السامع والعملية الاتصالية، وظروف إنتاج الخطاب التي قد كان للبلاغيين بدورهم عناية خاصة وشاملة لظروف إنتاج الخطاب من جوانبه المختلفة.

هذا، وعند الحديث عن التراث اللغوي العربي القديم نجده قد استوفى جميع نواحي العملية الاتصالية اللفظية منها والصوتية والتركيبية والدلالية وعلاقة هذه العناصر بالسياق والمتكلّم والسامع، وهذا ما نجده بصفة خاصة عند المفسّرين القدامى في طريقة تعاملهم مع القرآن، حيث أنّ الخطاب القرآني يركّز أساسا على الاستعمال الفعلي للغة، وإعجاز القرآن لا يكون فقط في اللغة بمعزل عن السياق بل لابد من الرّبط بين كل العناصر اللغوية التواصلية من القصدية والظروف المحيطة بإنتاج الخطاب، وهذا لأنّه خطاب يستند أساسا إلى مجموعة من القضايا والأحكام الشرعية باعتباره خطاباً غيبياً من الله عز وجل ويحمل العديد من الأساليب البلاغية المستوفية لمختلف الأبعاد التواصلية.

ومن هنا رأيت أن يكون موضوع بحثي بعنوان: {**البعد التداولي للاستفهام في سورة آل عمران من خلال منهج الشيخ أطفيش في كتابه تيسير التفسير**} في محاولة لتطبيق المنهج التداولي في فهم الخطاب القرآني من خلال ربطه بأسلوب الاستفهام استنادا إلى تفسير الشيخ أطفيش.

إنّ السبب في اختياري لأسلوب الاستفهام وربطه بالتداولية، يعود إلى طبيعة البحث البلاغي الذي يسهم في دراسة اللغة في جانبها التواصلي، حيث أنّ البلاغيين كانت دراستهم للاستفهام تهتم بالسياق وظروف إنتاج الخطاب ومقاصد المتكلم لأنّه عادة ما يكون للاستفهام أغراض ضمنية أي تخرج عن أصل وضعه لذلك لابد من العودة إلى السياق ومقاصد المتكلم وهذه الخاصية تهتم بها كل القضايا التداولية، أما عن اختياري للقرآن كمجال للبحث لأن أغلب الاستفهامات في القرآن تخرج عن أصل وضعها لتؤدي أغراضًا ضمنية، بالإضافة إلى أسباب أخرى لاختيار الموضوع والتي لها علاقة بسبب اختياري لسورة آل عمران وتفسير الشيخ أطفيش كمدونتين للدراسة من بين هذه الأسباب:

- ✓ محاولة تطبيق التداولية باعتبارها من المناهج الغربية الحديثة على القرآن الكريم بقصد تنويع أدوات قراءته وتحليله.
- ✓ اختياري على سورة آل عمران لأنها تحتوي على نسبة كبيرة من أنواع الاستفهام بالإضافة إلى تنوع مواضيع السورة الذي ساهم في تنوع صيغ الاستفهام والقضايا التداولية لأنّ المنهج التدولي يقتضي تنوع المواضيع وأساليب الخطاب.
- ✓ أنّ البحث في مجال التداولية خصب ومفيد وخاصة عندما يكون مرتبطا بأسلوب الاستفهام خصوصاً.
- ✓ إمكانية التطبيق على مدونة تراثية محلية لم تحظ بعد بالعناية الكافية من قبل الدارسين ألا وهي كتب الشيخ اطفيش القطب، سيما منها "تيسير التفسير" سيما وأنّ مخبر البحث في التراث اللغوي بالجنوب التابع لكليتنا يقتضي العناية بذلك.
- ✓ كون الشيخ أطفيش المفسّر في تحليله للخطاب القرآني متميّزا بالطابع الموسوعي اللغوي؛ البلاغي والنحوي والفقهي وغيرها من الجوانب مما يساعد على استنباط الأبعاد التداولية للخطاب القرآني.

إنّ كل سبب في اختيار موضوع هذه الدراسة إلا ونجد وراءه إشكالية هي: ما هي الأبعاد التداولية للاستفهام في سورة آل عمران من خلال منهج الشيخ أطفيش في تفسيره تيسير التفسير؟.

ومن بين الأسئلة التي تطرحها هذه الاشكالية ما يلي:

- ✓ فيم تتمثل المعاني التداولية للاستفهام في اللغة والقرآن؟
- ✓ ما دور التفسير في كشف الأبعاد التداولية للاستفهام في سورة آل عمران؟
- ✓ كيف كان يحلل الشيخ أطفيش المعاني غير الحقيقية للاستفهام في سورة آل عمران؟
- ✓ ما مدى إدراك الشيخ أطفيش للأبعاد التداولية للاستفهام في سورة آل عمران؟

أمّا أهداف الدراسة فتتمثل في استخراج الأبعاد التداولية للاستفهام في القرآن الكريم من خلال القراءة في مدوّنة تراثية تفسيرية، مع محاولة استخراج الأبعاد التداولية لخطاب الشيخ أطفيش في تفسيره للاستفهام، بالاعتماد على منهج لساني حديث هو **المنهج التداولي** مع الاستعانة بأدوات بحثية إجرائية مثل الوصف والتحليل والاستنتاج، ولتطبيق ذلك المنهج وحل تلك الإشكاليات اعتمدت على الخطة الآتية:

بعد **مقدمة البحث**، يأتي **تمهيد** وفيه عرّفت بالمدوّنتين سورة آل عمران وتفسير الشيخ أطفيش وتعريف مختصر حول التداولية ونشأتها، وتطرّقت لبعض القضايا التداولية منها الأفعال الكلامية والحجاج، وتعريف مختصر لأسلوب الاستفهام، ثم يأتي **المبحث الأوّل** وعنوانه: **معاني الاستفهام الدالة على الأفعال الكلامية في السورة والتفسير**، بحيث أستنبط معاني الاستفهام الدالة على الأفعال الكلامية في سور آل عمران وتفسير تيسير التفسير، والذي من خلاله توصلت إلى استقراء كل الآيات التي فيها استفهام في سورة آل عمران باستخراج أغراض الاستفهام ، وثم استخرجت المعاني الضمنية للاستفهام باعتباره فعل كلامي وقوته الانجازية وتأثيره في المتلقي، ثم رجعت إلى تفسير الشيخ أطفيش وحللت رأيه في ذلك الاستفهام واستخرجت الابعاد التداولية في جانب الأفعال الكلامية والتي توصل إليها إن كانت موجودة، حيث تطرّقت في **المطلب الأوّل** إلى دلالة الاستفهام على إثبات الوحدانية، وفي **المطلب الثاني**: دلالة الاستفهام في بيان كفر أهل الكتاب والدعوة إلى دين الاسلام، أمّا **المطلب الثالث**: فتطرّقت إلى الأفعال الكلامية في قصة غزوة أحد والدعوة للصبر والجهاد في سبيل الله.

ثم يأتي **المبحث الثاني** بعنوان: **معاني الاستفهام الدالة على الحجاج في السورة والتفسير**، بحيث أستنبط الوظيفة الحجاجية للاستفهام الدالة على الحجاج التداولي في سور آل عمران وتفسير "تيسير التفسير"، حيث قمت باستقراء كل الآيات التي فيها استفهام في سورة آل عمران وتوصلت إلى

الحجج والأدلة التي أشار إليها ذلك الاستفهام من خلال القوة الإنجازية والحجاجية، وبعدها رجعت إلى رأي الشيخ أطفيش وعرضته واستخرجت الحجج التداولية التي توصل إليها من خلال الاستفهام، حيث تطرّقت في **المطلب الأول**: إلى الحجاج في قصة آل عمران ومريم عليها السلام وإثبات توحيد الله، وفي **المطلب الثاني**: إلى الحجاج في إثبات كفر أهل الكتاب وأن كل الأنبياء مردهم للإسلام، أمّا **المطلب الثالث**: فتطرّقت إلى الحجاج في دعوة المسلمين للجهاد في غزوة أحد وتحذيرهم من المنافقين والمرتدين، وفي الأخير **خاتمة** لخّصة فيها كل النتائج التي توصّلت إليها الدراسة.

ملاحظة: إنّ دراستي اعتمدت فقط على بعدين تداوليين هما الأفعال الكلامية والحجاج وهذا بسبب حجم عدد الصفحات المحدد حيث لا يسمح لي بتطبيق كل القضايا التداولية، لذلك –وبعد استشارة الأستاذ المشرف وقبوله– اخترت الأفعال الكلامية لأنها أساس المنهج التداولي وأساس الدراسة فيه، وهي جامعة لبعض المفاهيم التداولية مثل مبدأ الملائمة والقصدية ومبدأ التأدب ومتضمنات القول وقد أشرت إليها في بعض الآيات، وكذلك طبيعة الاستفهام وهو عبارة عن فعل كلامي، أما عن سبب اختياري للحجاج فراجع إلى أن الاستفهام في القرآن يؤدي وظيفة حجاجية، وكذلك المدونة التفسيرية التي تحوي هي الأخرى على إشارات للفعل الكلامي و الحجاج.

وقد اعتمدت في الدراسة على مجموعة من المراجع والمصادر نذكر منها:

التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، المقاربة التداولية لفرانسواز أرمينكو، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام؟ لأوستين، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر لمحمود أحمد نحلة، وفي أصول الحوار وتجديد علم الكلام لطه عبد الرحمان، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي لجون سيرل، بالإضافة إلى مصدر وهو تيسير التفسير للشيخ أمحمد أطفيش.

وفي الأخير أتوجه بجزيل الشكر والحمد لله عزّ وجل الذي وفّقني لإتمام هذا البحث، كما أتقدّم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان والدّعوات الصادقة والخالصة للأستاذ الفاضل المشرف الأستاذ الدكتور: **يحي بن يحي** الذي أمدّني بيد العون في توجيهاته السديدة وأفكاره الصائبة التي أسهمت في إنجاز هذا البحث.

بن يزقن في: 2016/09/08

حفصة إبراهيم وينتن

يتضمن هذا التمهيد التعريف بمدوّنة الدراسة التي هي سورة آل عمران، وكذا كتاب تيسير التفسير وصاحبه الشيخ اطفيش أمحمد بن يوسف اطفيش، بالإضافة إلى بعض التعاريف التي نراها ضرورية من أجل وضع موضوع هذه الدراسة في إطارها النظري، سواء ما تعلّق منها بمفاهيم التداولية وقضاياها المطبقة في هذه الدراسة باعتبارها أساسا منهجيا، أم ما تعلّق بالمدوّنة وما تم التركيز عليه منها ألا وهو أسلوب الاستفهام، وذلك من قبيل التمهيد للبحث بما يعدّ من مداخله المعرفية والتاريخي التي لا غنى عنها.

1) التعريف بالمفسّر الشيخ أطفيش:

أ. الشيخ أمحمد أطفيش نسبه ومولده:

يعدّ الشيخ أطفيش من الأعلام البارزين عند بني ميزاب والاباضية عامة، حيث يرجع نسبه إلى أمحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن اسماعيل ابن محمد بن عبد العزيز بن بكير الحفصي، ويعتبر أطفيش من أشهر العلماء المذهب الإباضي بالمغرب الاسلامي في العصور الحديثة من عائلة شهيرة بالعلماء من بني يسجن، غرداية، الجزائر، من عشيرة آل بامحمد، وينتهي نسبه الى عمر بن حفص الهنتاتي من العائلة الحفصية المالكة بتونس بين (625-983هـ/1229-1574م) وفي بعض كتبه ينهي القطب نسبه إلى أبي حفص عمر بن الخطاب.[1]

أما عن مولده يقول **يحي حاج أمحمد:** «ولد القطب في مدينة غرداية لما انتقل اليها والده سنة (1236هـ/1820م)»[2]، كما يعرف **الشيخ أطفيش** عند الاباضية وغيرهم بلقب "قطب الأيمة" وقد اشتهر بهذا اللقب حتى عُرف به.

ب. وفاته:

كان **الشيخ أطفيش** من العلماء البارزين عند الاباضية حيث ساهم في القضاء على الجهل في المجتمع إلى أن توفي، يقول الدكتور **مصطفى وينتن:** «توفي القطب[...] بمرض دام أسبوعًا [...] عن عمر يناهز 96 سنة، وتذكر بعض المصادر أنّه كان من السبعة المقتولين بالسم سنة 1914م، إذ وضع

---

[1]- ينظر: يحي بن بهون حاج أمحمد، رحلة القطب الشيخ امحمد بن يوسف بن عيس أطفيش الشهير بـ "قطب الأيمة"، ط1، (2007م)، غرداية، ص:22.

[2]- المرجع نفسه، ص:23.

له أحد العملاء الفرنسيين سمًّا في حذاءه تسبب في وفاته بعد أسبوع، وتوفي يوم (السبت23 ربيع الثاني1332هـ /مارس 1914م)»[1]

ج. مكانته العلمية:

لقد كان لوالدة قطب الأيمة الفضل الكبير في نبوغه والدفع به إلى العلم والدافع هو كثرة الجهل والخلافات يقول **يحي حاج أمحمد:** «فحينما [...] بلغ الخامسة، أدخلته أمه في كتّاب المسجد لحفظ القرآن»[2] فتمكن من حفظ القرآن وهو في سنّ التاسعة من عمره، فمن بين العلماء الميزابيين الذي أخذ عنهم: أخوه الأكبر ابراهيم بن يوسف أطفيش، الشيخ الحاج سعيد يوسف وينتن، الشيخ سليمان بن عيسى عدون، الشيخ الحاج أحمد بن داود أمعيز، والشيخ بابا بن يونس.

فلم يكد القطب يبلغ السادسة عشر من عمره حتى جلس للتدريس والتأليف ولـمّا بلغ العشرين صار عالم وادي مزاب، ثم في كهولته بلغ درجة الاجتهاد[3] فقد كان يسعى للعلم بنفسه ويعتمد على قدراته ومحيطه في اقتناء الكتب، يقول **يحي حاج أمحمد** في هذا: «فمن حسن حظه أن دعاه نجل الشيخ عبد العزيز الثميني وفتح له خزانة والده، ثم وهبت له بعد ذلك زوجته الصالحة عائشة نوح الخزانة التي ورثتها عن أبيها الذي كان عالما، بهذا وجد القطب نفسه أمام عدد من خزائن الكتب»[4].

د. معهده وتلاميذه:

يعتبر القطب من العلماء الذي تخرج على يده العديد من العلماء هذا من خلال معهده الذي أنشأه حيث يقول **يحي حاج أمحمد** في هذا: «أنشأ القطب عام (1253هـ/1837م) معهداً للتدريس في أصل داره ثم دخل حلقة العزابة، وقد تعرض للنفي من بلدته إلى بلدة بنورة (آت بنور) ومكث بها

---

[1]- مصطفى بن ناصر وينتن، آراء الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش العقدية، جمعية التراث القرارة، الجزائر، دط، (1996م)، ص:26.

[2]- يحي بن بهون الحاج أمحمد، مرجع سابق، ص:24

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص:26

[4]- المرجع نفسه، ص: 25

حوالي عشر سنوات ألّف فيها كتبا كثيرة، وتخرج عليه في الفقه بها كثير من الطلبة»[1] من بين تلاميذه: سليمان بن باشا الباروني النفوسي، ابراهيم ابو اليقظان، الحاج ناصر بن ابراهيم الداغور.

هـ. مؤلّفاته:

انّ للشيخ مجموعة كبيرة من المؤلّفات حيث لم تقتصر على نوع واحد بل شملت كل العلوم من بين هذه الكتب: شرح كتاب النيل وشفاء العليل، شامل الأصل والفرع، الجنة في وصف الجنة، بيان البيان في علم البيان، هيمان الزاد إلى دار المعاد، تيسير التفسير، وجامع حرف ورش.

2) التعريف بكتاب تيسير التفسير:

يضم كتاب "تيسير التفسير" ستة عشر (16) جزءاً، ويحتل مكانة علمية في أوساط الطلبة والعلماء وقد تحدث عنه الكثير من العلماء وبيّن مكانته، يقول تلميذه **الشيخ أبو اسحاق ابراهيم أطفيش:** «ومن وقف على تفسيره تيسير التفسير شاهد تبحّره في علوم القرآن وغزارة مادّته ومقدرته على اظهار حقائق التفسير»[2]

ويقول **الشيخ ابراهيم بيوض** في التفسير: «إذا أردت أن أعرف أحيانًا قول الإباضية في بعض الأحكام الشرعية الواردة في الآية فإنّني أرجع إلى كتاب التيسير للشيخ الحاج أمحمد أطفيش.»[3]

يعد تيسير التفسير من الكتب الموسوعية، فالمفسّر في منهجه توسّع وأطنب اطنابًا مفيدًا، فنجده يتوسع في كلّ المجالات فلم يكن تفسيره متخصصًا فقط للمسائل الفقهية أو البلاغية أو اللغوية فقط، بل شمل العلوم التي تفيد الطالب والاصلاح الاجتماعي والقضاء على الجهل، ونظرا لسعة فكره وإلمامه بكل العلوم اللغوية والفقهية و التاريخية والعلمية نجده يتوسع في تفسيره للآية وينتقل من موضوع إلى آخر من دون رابط، لذلك أُعتبر تفسير من أهم التفاسير، وهو تفسير جامع للفقه الإباضي وأحكامه.

3) التعريف بسورة آل عمران:

أ. سبب التسمية وفضلها:

---

[1]- يحي بن بهون الحاج أمحمد، مرجع سابق، ص:12

[2]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف أطفيش (القطب)، تيسير التفسير، تح: الشّيخ إبراهيم طلاّي، المطبعة العربية، غرداية، دط، (1997م)، ج1، ص: ظ.

[3]-المرجع نفسه، ج1، ص: أأ

سورة آل عمران سورة مدنية تحتوي على مئتي آية، وهي السورة الثالثة في ترتيب الرّسم القرآني، بعد سورتي الفاتحة والبقرة، أمّا من حيث النزول فهي ثالثُ سورة نزلت بالمدينة بعد سورة الأنفال في الفترة الأولى من الهجرة، وكان ذلك في وقعة أحد ش وال سنة ثلاثة، وذكر **الطاهر ابن عاشور** عن **الألوسي** أنّ هذه السورة تسمى: «الأمان، والكنز، والمجادلة، سورة الاستغفار»[1] وتعرف سورتا آل عمران والبقرة باسم (**الزهراوين**)، يقول **الطاهر ابن عاشور**: «ففي صحيح مسلم: عن أبي أمامة: قال سمعت رسول الله يقول: {أقرأوا الزهروين: البقرة وآل عمران}»[2]، أمّا عن فضلها وفضل من يقرأها يقول **الطاهر ابن عاشور**: «عن عثمان ابن عفّان قال: {من قرأ سورة آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة}»[3]، وسمّيت السورة بسورة آل عمران لأنّه ذكر فيها قوم آل عمران، عمران أبو مريم، كما تحتوي السورة قصة آل عمران أبو مريم وزوجه وقصّة مريم ومولد عيسى عليه السّلام.

ب.سبب نزول السورة:

يقول **جلال الدين السيوطي** في ذلك: « أخرج ابن أبي حاتم الربيع أنّ النصارى أتو النبي صلى الله عليه وسلم فخاصموه في عيسى عليه السلام، فأنزل الله: ﴿**أَلٓمٓ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ**﴾ إلى بضع وثمانين آية منها، وقال ابن اسحاق: حدّثني محمد بن سهل بن أبي أُمامة قال: لما قدم أهل نجران على الرّسول صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين منها، أخرجه البيهقي في الدلائل، وروى أبو داود في سننه والبيهقي من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: (يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشًا) فقالوا: يا محمد لا يغرنّك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنّك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ**﴾ إلى قوله ﴿**لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ**﴾،[...]»[4]

---

[1]- الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدّار التونسية للنشر، تونس، دط، (1984م)، ج3، ص: 145

[2]- المرجع نفسه، ص: ن

[3]- المرجع نفسه، ص: ن

[4]- جلال الدين أبي عبد الرحمان السيوطي، أسباب النزول، الكتب الثقافية، لبنان، ط1، (2002م-1422هـ)، ص: 54/53

ج. مواضيع السورة في جانب العقيدة والتشريع:

يشمل السياق العام في السورة ركنين هامين من أركان الدّين وهم العقيدة في إقامة الأدلة على وحدانية الله عزّ وجلّ وأن الدين الوحيد عند الله هو الاسلام وأنّ ما يدعو إليه أهل الكتاب باطل، والتشريع وخاصة فيما يتعلّق بالمغازي والجهاد في سبيل الله وبيان الأحكام الخاصة لفريضة الحج.

د. أهم النقاط التي ركّز عليها سياق السورة:

1. بيان معنى الدّين ومعنى الإسلام، وتوحيد الأُلُوهِية التي يتوجه إليها البشر، وتوحيد القِوَامة على البشر وعلى الكون كلِّه، فلا يقوم شيء إلاّ بالله تعالى، والدّين عند الله هو الاسلام. [1]
2. تصوير حال المسلمين مع ربّهم واستسلامهم له وتلقيهم لكل ما يأتيهم منه بالقَبول والطاعة والاتباع الدقيق. [2]
3. التحذير من ولاية غير المؤمنين، والتهوين من شأن الكافرين مع هذا التحذير وتقرير أنّه لا إيمان ولا صلة بالله مع تولّي الكفّار الذين لا يحتكمون لكتاب الله ولا يتبعون منهجه في هذه الحياة [3]

4) التعريف بالتداولية وبعض مفاهيمها (منهج الدراسة):

يعد درس التداولية غزيرا ومتنوعا من حيث مفاهيمها وتطبيقاتها، يقول **جورج يول** في تعريفه للتداولية: «إنّ التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصد المتكلم[...] ودراسة المعنى السياقي[...] وكيفية إيصال أكثر مما يقال[...] ودراسة التعبير عن التباعد النسبي»[4] ويقول **مسعود صحراوي** إنّها: «علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثمَّ، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره»[5]، كما تعتبر نقطة التقاء للعديد من العلوم، فمفاهيمها شائكةٌ متداخلةٌ فيما بينها لأنّ نشأتها مرت عبر مراحل وعلى يد عديد من العلماء حيث يقول **فرانسواز أرمنيكوا**: «مؤسسين مباشرين[...] أمثال **بيرس** و**موريس**(سيميائيين)، ومؤسسين

---

[1]- ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط7، (1971م)، مج1، ص: 525

[2]- ينظر: المرجع نفسه، مج ن، ص: 562

[3]- ينظر، المرجع نفسه، مج ن، ص: 427

[4]- جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م، ص: 19-20

[5]- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط:1، 2005م، ص:16

غير مباشرين أمثال **فريج** و**فجنشتاين**(فلاسفة)، ومؤسسين متعاقبين أمثال **كارناب** و**بارهييل** (فلاسفة)»[1]، ونشأتها تضم العديد من العلوم التي مرت عبر تطوّرات عديدة من بينها، السيميائية، وعلم النفس المعرفي، وتحليل الخطاب، واللسانيات والفلسفة التحليلية التي أمَدَّتنا بالعديد من المفاهيم التداولية منَ الأفعال الكلامية، ومبدأ القصدية، ولكن رغم تنوع نشأتها وتطورها وظهور معالم التداولية على يد الفلاسفة التحليليين، إلاّ أنّ التداولية لم تصبح علما يعتد به ولم تظهر كل مفاهيمه، إلى أنّ جاء فلاسفة مدرسة أوكسفورد المتأثّرين بفلسفة **فجنشتاين** للغة وتحليله اللغوي واهتمامه بالمعنى والاستعمال، فقام فلاسفة أوكسفورد (**أوستين، سيرل، غرايس**) بتطوير أهم القضايا التداولية حيث (**أوستين**) قام بوضع قضية تداولية هامة تعنى بالفعل اللغوي الانشاء ومدى تصديق القول وتكذيبه، وخرج بقضية **الأفعال الكلامية**، في كتابه "**كيف تفعل الأشياء بالكلمات**" 1962م، أمّا عن **سيرل** فقد قام بتطوير ما جاء به أستاذه **أوستين**، حيث قام بتحديد الأفعال الكلامية من خلال قوّتها الإنجازية، وهذا في كتابه "**أفعال الكلام**" 1969م، إنّ التقسيمات التي وضعها **سيرل** من أفعال مباشرة وغير مباشرة، أدّى إلى ظهور قضية تداولية أخرى على يد **بول غرايس** وهي **الاستلزام الحواري** و**مبدأ التعاون**، وهذه المبادئ هي عبارة عن نقطة تحول أخرى أدّت إلى ظهور مبادئ تداولية أخرى على يد **روبن لاكوف** التي استدركت ما تخلى عنه مبدأ **غرايس** وهو **مبدأ التأدب** بالإضافة إلى **مبدأ الملاءمة** وهو شرط لنجاح العملية التحاوري والتي تتم فيها اقناع المتكلم بقضية وهو ما يعرف **بالحجاج التداولي**.

تقوم التداولية على العديد من المفاهيم والقضايا التي تقوم بدراسة اللغة في مستويات متنوعة ومختلفة ليست كالمستويات اللسانية (المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الصرفي،...)، ولكن القضايا التداولية تذهب إلى أبعد من هذه المستويات لأنّ هدفها هو دراسة اللغة في الاستعمال واستخراج المعاني والدّلالات بالرّجوع إلى المتكلّمين والمستمعين والسياق والمقام وكل الظروف المحيطة باللغة، وعلى التداولي أن يرجع في تحليله إلى أدق التفاصيل المحيطة بالمتكلم والخطاب، وهذا في سياقات مختلفة باستعمال قضايا وآليات منها (الأفعال الكلامية، الاستلزام الحواري، متضمنات القول، مبدأ القصدية، مبدأ الملائمة، الحجاج) تقوم بمعالجة اللغة أثناء الاستعمال، نستطيع أن نقول

[1]– فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش ،مركز الإنماء القومي، المغرب، الرباط، دط، 1986م، ص:15

أنّه لا يخلوا اتصال لغوي من هذه الآليات التداولية، فطبيعة الإنسان تلزمه أن يحلل ويفهم كل خطاب على حسب الظروف المحيطة به، فالبحث التداولي قام بتحديد هذه المفاهيم، ووضع أسس لهذه الدراسة خارج النطاق الذي وضعته اللسانيات البنيوية وهو الاستعمال والمقام، وفي هذه الأسطر أقوم باستعراض نوعين من المفاهيم والقضايا التداولية:

1. الأفعال الكلامية:

تعد نظرية الأفعال الكلامية أو الفعل الكلامي من أهم المفاهيم والنظريات التداولية حيث لقت اهتماما كبيرا من الباحثين لأنها تعتبر من أهم القضايا التي ساعدت في بروز الدّرس التداولي، والأساس الذي بنيت عليه التداولية من دراسة اللغة في السياق والاستعمال كما أنّ الأفعال الكلامية استطاعت أن تجمع بعض المفاهيم التداولية في ثناياها، والعديد من الباحثين يسندون المفهوم التداولي لنظرية الأفعال الكلامية وهذا لأنّ بروز التداولية كعلم ومنهج قائم بذاته كان على يد الفلاسفة **أوستين** و**سيرل**، وهذا بتطوير نظرية الأفعال الكلامية

إنّ أعمال **أوستين** جاءت لتغيير بعض المفاهيم وهي أنّ الجمل الخبرية لا تكون فقط وصفية تحتمل الصدق أو الكذب بل هناك جمل خبرية لا تصف ولا تحتمل الصدق والكذب وهذه الجمل جاءت لتقوم بأفعال أو جاءت لتؤدي أفعال يُفهم معناها من خلال الموقف الذي قيلت فيه والظروف المحيطة بالمتكلم وغرضه من ذلك القول، مثال: (زوجتك ابنتي) أو (قد تمَ البيع) فهذه الجمل لاتصف وقائع من العالم الخارجي ولا يمكن أن نقول أنها صادقة أو كاذبة، لذلك جاءت تسمية أوستين لهذه الجمل بالجمل الإنجازية التي تقوم بفعل وتنجز فعلا فهي أقوال غرضها إنجاز الأفعال أي أنها أفعال أدائية تقوم بتأدية فعل معين.

في هذه المرحلة توصل **أوستين** إلى نوعين من الجمل: جملة خبرية وجملة إنجازيه (أدائية) ولكن الجمل الإنجازية تخضع لشروط متصلة بالمتكلم والسامع والسياق، لأن هذه الجمل لا تؤدي وظائفها إلاّ في سياق معين، وبذلك يمكن الحكم عليها بأنها قامت بفعل أم لم تقم أي يجب ملاءمة الجمل مع السياق الذي وردت فيه لكي تصبح جملة إنجازيه وهذه مجموعة من الشروط اقترحها **أوستين** في

المرحلة الأولى من تقسيمه للجمل وهذه الشروط خاصة بالجملة الإنجازية (الأدائية) يقول **حافظ إسماعيل علوي** في ذلك:[1]

- شروط مقامية: يجب أن يكون هناك اتفاق عرفي أو مؤسساتي مقبول لدى المشاركين، مع تطبيق الاتفاق في الظروف الملائمة، وأن يكون تنفيذ الحكم كاملا وصحيحا.
- شروط مقاليه: يجب أن ينتمي فعل الجملة الإنجازية معجميا إلى فئة الأفعال الإنجازية، وأن يكون فعل الجملة مبنيا للفاعل، وزمن الفعل هو زمن متكلم.

هذه الشروط خاصة بالجملة الإنجازية (الأدائية)، وهذا بسبب الطبيعة التي تتميز بها وهي إنجاز الأفعال في ظروف تتكون من المتكلم والمستمع والسياق مثال:(اعلن رسميا عن افتتاح الجلسة) فهذه الجملة لا تقال إلاّ في مواقف معينة وأشخاص معيّنون ذَوِي نفوذ في الاجتماعات ولكن **أوستين** بعد هذا التقسيم وجد أن الفعل الإنجازي يتكون من نوعين هما:

أ) **أفعال إخبارية آنية:** يقول **أوستين:** «[الجملة الخبرية أو القول] يصف حالة شيء ما، وإمّا أن يثبت واقعة عينية مما يعني أنّ [القول أو الفعل] إما أن يكون صادقا أو كاذبا»[2]، يجب هذا الفعل أن يتطابق مع الواقع.

ب) **أفعال إنجازيه أدائية (إنشائية):** يقول **أوستين** كما يرى **فيليب بلانشيه:** «هي فعل شيء ما فقط بمجرد التلفظ [به]، بشرط توفر شروط نجاح معيّنة [...] وهي لاتصف أعمالاً بل هي في حدّ ذاتها أعمال، [مثل]: أعمال تخص الزواج، المباركة، التوريث، والمراهنة [أو البيع]»[3] ويقول **أوستين:** «فالنطق بالجملة هو إنجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه، مما لا يعني إننا ولنكرر القول هنا، نصف بقولنا شيئا ما على وجه الضبط»[4].

بعد كل هذا التقسيم الذّي وضعه **أوستين** تبين أنّ التمييز بين الأفعال الإخبارية والإنجازية الأدائية (الإنشائية) غير حاسم، لأنّ كثيرا من الأفعال الإنجازية التي تنطبق عليها الشروط لا تقوم

---

[1]- حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، دار الكتب الحديث، الأردن، ط:2، 2014م، ص: 92- 93

[2]- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام؟، تر: عبد القادر القينيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 1991م، ص:13

[3]- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر، سورية، ط1، 2007م، ص: 54

[4]-أوستين، المرجع نفسه، ص: 16

بأداء وإنجاز فعل، وكذلك العديد من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة أدائية (إنجازيه) [1]، ويمكن للجملة أن تحمل الصفتين معا الوصف والإنجاز، أي تحمل معيارين (الصدق والكذب) أو (الإخفاق والنجاح)، وجد **أوستين** تضاربًا كبيرا في تصنيفه للجمل الإخبارية (الوصفية) والإنجازية (الأدائية) حيث بعض الجمل لا نستطيع تحديد نوعها حتى وإن أَخضعناها للشروط، نجد تضارباً مثال:[2]

أ) شكرا، أهلا وسهلا. ب) أنا آسف.

هذه الجمل تتضمن فعل الشكر والترحيب والتأسف، غير أنّ عبارة (أنا آسف) قد تكون جملة إنجازيه مرادفة للعبارة التداولية (استسمحك).

ويمكن للجملة أن تحمل معنيين صريح وضمني، وغرضين الوصف (الإخبار) والإنجاز، مثال توضيحي: (التلفزة معطلة)، إنّ معنى هذه الجملة ونوعها يحدد من خلال سياق الموقف، وعلى حسب ظروف الاستعمال، إذا كانت العبارة مثلا مكتوبتا على الجهاز ويقصد منها وصف حالة التلفاز، ففي هذه الحالة تكون الجملة خبرية وصفية رغم توفر كل الشروط التي سبق ذِكرها، أمّا إذا قيلت هذه الجملة في سياق تنبيه وتحذير، كأن تقول الأم لولدها الذي جاء مسرعا لمشاهدة الرّسوم المتحركة، فنقول أنّها جملة إنجازيه إنشائية[3].

في النهاية خرج **أوستين** بنتيجة أنّ الجمل الإنجازية (الإنشائية) أنواع، وأنّ الجمل سواء كانت خبرية أو إنجازية، فهي عبارة عن فعل يحدد من خلال الاستعمال الفعلي لتلك العبارة، إنّ وصول أوستين إلى هذه المرحلة جاء من خلال إصراره في طرح السؤال: كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا؟، وعليه فإن الجمل اللغوية مهما كانت هي عبارة عن فعل لغوي، في الأخير توصل **أوستين** إلى أنّ الفعل الكلامي يتكوّن من ثلاثة أفعال لا يمكن فصلها عن بعضها، فهي عبار عن أجزاء أساسية لتكوين الفعل الكلامي ومعرفة نوعه وخصائصه، حيث عند نطق المتكلم بالفعل فإنّه قد أدى تلك الأفعال الثلاثة فمن خلالها نعرف نوعية الفعل الكلامي وهذه الأفعال هي:

---

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، دط، 2002م، ص: 45

[2]- ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، مرجع سابق، ص: 96

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 96

- الفعل القولي "الفعل اللغوي" (Acte locutiore): يقول **أوستين** كما يرى **فيليب بلانشيه:** «وهو إصدار إشارات صوتية على حسب سنن اللغة الداخلي»[1]، والفعل القولي يتفرع منه أفعال هي: الفعل الصوتي، الفعل التركيبي، والفعل الدلالي.
- الفعل الإنجازي "الفعل المتضمن في القول" (Act illocutoire): يقول **أوستين** كما يرى **فيليب بلانشيه:** «الذي يقوم على إتمام عمل آخر عبر القول غير مجرد التلفظ بالمحتوى وتحديداً على القول صراحة (ولكن ليس دائماً)،[...] ولا ينتج[الفعل الإنجازي] من[الفعل] القولي،[...] إنها قوّة(forse) إضافية يكتسبها [الفعل] القولي من جراء إرادة المتكلم لا بطريقة يستنتجها معناه الحرفي بشكل صارم»[2]
- فعل تأثيري "الفعل الناتج عن القول" (Acte perlocutoire): يقول **أوستين** كما يرى **فيليب بلانشيه:** «إحداث تأثيرات ونتائج على [نفسية] المخاطبين، مثل: حثهم على القيام بفعل أو حملهم على الخوف أو الضحك أو الحزن»[3].

إنّ التّقسيم الذّي وضعه **أوستين** للجمل اللغوية يشير إلى أنّ كل قول وجملة لغوية في فعل كلامي يخضع لقوة إنجازية، تحدد نسبتها من خلال السياق الذي وردت فيه، وعلى حسب ظروف الاستعمال التي حددتها التداولية.

وقد وجد أوستين أنّ الفعل الإنجازي يختلف باختلاف حالته واستعماله ولا يكون إلاّ لغويا، عكس ما هو في الفعل التأثيري، والفعل الكلامي يتحدد نوعه من خلال القوة الإنجازية، وبناء على هذا قام بتصنيف الأفعال الكلامية على حسب قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف:[4]

1- الحكميات (الأفعال الحكمية): verdictives ناتج عن إصدار حكم في المحكمة.

2- الإنفاذيات(الأفعال التشريعية)exercitives: ممارسة السلطة والقانون، التعيين في المناصب.

3- الوعديات(أفعال التعهد)commissives: أن يلتزم الانسان بفعل شيء ما اعطاء الوعد.

---

[1]- فيليب بلانشيه، مرجع سابق، ص: 59

[2]- فيليب بلانشيه، مرجع سابق، ص: 59-60.

[3]- المرجع نفسه، ص: 59.

[4]- ينظر: أوستين، مرجع سابق، ص: 174-175.

4-السلوكيات(أفعال السلوك)behabitives: السلوك والأعراف المجتمعية كالاعتذار، والشكر.

5-التبيينات (أفعال الإيضاح) expositives: الألفاظ المتلفظ بها تجري مجرى الاحتجاج والنقاش لإيضاح وجهة النظر مثل: أحتج، أعارض، أوضح، وأفترض.

إنّ كل جملة لغوية وفعل لغوي هو عبارة عن فعل كلامي يخضع لقوة إنجازيه، نُصدر حكمها من خلال السياق والاستعمال اللغوي لتلك الأقوال في مقامات متنوعة.

الأفعال الكلامية عند **سيرل**:

رغم كل ما قدّمه **أوستين** في أفعال الكلام إلاّ أنّه لم يكن كافيا فقام تلميذه **سيرل** باستدراك تلك النقائص، فقسم **سيرل** الأفعال الكلامية على أساس الفعل الإنجازي والقوة الإنجازية، ووضع مبادئ للفعل الكلامي وهي في رأي **محمود أحمد نحلة**:[1]

1. يُعد الفعل الإنجازي الذي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي وللقوة الإنجازية، دليلا يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلّم حين نطقه للجملة، كالنبر والتنغيم وصيغ الفعل.
2. الفعل الكلامي لا يقتصر فقط على مراد المتكلم، بل هو مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي.
3. طوّر **سيرل** شروط الملاءمة عند **أوستين** فجعلها أربعة. وطبقها تطبيق محكما على كثير من الأفعال الإنجازية، وهذه الشروط هي:

✓ شرط المحتوى القضوي: يتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية، نسبة للقضية التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع.

✓ الشرط التمهيدي: يتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل

✓ شرط الإخلاص: يتحقق حين يكون المتكلّم مخلصا في أداء الفعل.

✓ الشرط الأساسي: يتحقق حين يحاول المتكلّم التأثير في السامع لينجز الفعل.

إنّ نجاح الفعل الكلامي عند **سيرل** يعتمد على الشروط والمبادئ التي وضعها، وقد ذكرناها سابقا، وبناء على تلك الشّروط، أعاد تقسيم الأفعال الكلامية إلى أربعة أقسام:

1) الفعل اللفظي (الصوت والتركيب)

[1]- ينظر: محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص: 47- 48

2) الفعل القضوي (هو نفسه الفعل الدلالي عند **أوستين**).

3) الفعل الإنجازي (الفعل نفسه عند **أوستين**).

4) الفعل التأثيري (الفعل نفسه عند **أوستين**).

مثال توضيحي:[1] (يقرأ زيد الكتاب)

أ) الفعل اللفظي: النطق الصوتي للألفاظ على نسق نحوي (يقرأ زيد الكتاب).

ب) الفعل القضوي: يتمثل في المرجع (زيد)، والخبر هو (قراءة الكتاب)، المرجع والخبر يمثلان معا قضية هي: (قراءة زيد للكتاب).

ج) الفعل الإنجازي: يحمل مقصد الناطق بالفعل، وهو (الإخبار).

د) الفعل التأثيري: ليس لديه أهمية عند **سيرل**، وهو دليل لنجاح القوة الإنجازية وهو نفس الفعل الإنجازي ولا فرق بينهما.

الفعل الكلامي **لسيرل** يقوم على ثلاثة أسس منهجية هي:[2]

1- الغرض الإنجازي.

2- اتجاه المطابقة.

3- شرط الإخلاص.

نجد أنّ **سيرل** قام بتأسيس شروط ومناهج تحدد الفعل الكلامي الذي يعتمد أساسا على القوة الإنجازية، حيث يقول **محمد مدور**: «الفعل الكلامي عند [**سيرل**] لا يقتصر فقط على المتكلّم، بل هو مرتبط بالعرض اللغوي والاجتماعي»[3]

فقام **سيرل** بتحديد خمسة أصناف للفعل الكلامي:[4]

---

[1]- ينظر: محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علوم السان العربي، جامعة الحاج لخضر باتنة، (2014م)، ص: 45- 46

[2]- محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص: 49

[3]- محمد مدور، المرجع نفسه، ص: 16

[4]- ينظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 2006م، ص: 217-218-219.

1- الإخباريات (الاثباتيات) assertives: الفعل الكلامي الاثباتي هو التعهد للمستمع بحقيقة الخبر، وأن نقدم الخبر بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم، وهذه الأفعال تحتمل الصدق والكذب.

2- التوجيهات directives: محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائما مع المحتوى الخبير للتوجيه، وهي الامر والطلب.

3- الإلتزاميات commissives: تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل الممثل في المحتوى الخبري.

4- التعبيريات expressives: التعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي، أي التعبير عن الحالة النفسي تعبيرا صادقا مثل: التشكرات، الاعتذارات، التهاني، والتعزيات.

5- الإعلانيات declaratives: إحداث تغيير في العالم بتمثيله وكأنه قد تغيّر فتخلق الأفعال الأدائية، وكذلك التصريحات الأخرى من خلال تمثيله وكأنه قد تغيّر.

قام **سيرل** بتطوير الأفعال الكلامي وأسس لها شروط منهجية، تعتمد أساسا على الربط بين اللغة والمتكلّم والسامع والسياق، أي ركّز **سيرل** أساسا على اللغة في التواصل لهدف تدعيم ركائز التداولية، والفعل الكلامي في التداولية سواءا عند **سيرل** أو **أوستين** يعتمد على قصد المتكلّم ودرجة إدراك المتلقي، مع ربطه بالعبارة اللغوية، مما يؤدّي إلى نجاح الفعل الكلامي، وتأديته لوظيفة الفعل التي تحددها القوة الإنجازية.

إنّ أساس نجاح الفعل اللغوي عند **سيرل** هو القوة الإنجازية، فكان تقسيمه للفعل الكلامي على أساس الفعل الإنجازي الذّي من خلاله توصل إلى أصناف الفعل الكلامي، ولكن الجديد الذي جاء به **سيرل** هو توصّله إلى أنّ الفعل الإنجازي في نوعين:

1-أفعال إنجازيه مباشرة: أي معناها مباشر حرفي، حيث أنّ قوتها الإنجازية تطابق قصد وغرض المتكلّم، تطابق بين المعنى المستنبط من الفعل اللفظي وغرض المتكلم، أي لا يوجد اختلاف بين الجملة اللغوية ومقصد المتكلّم، وهذه الأفعال الإنجازية هي نفسها الأصناف الخمسة للفعل الكلامي.

2-أفعال إنجازية غير مباشرة: معناها غير حرفي، وقوتها الإنجازية تخالف مقاصد المتكلّم، والمعنى في هذه الحالة لا يكون سطحيا بل يفهم من خلال السياق ومقاصد المتكلّم، أي الرّبط بين كل من السياق ومقصد المتكلّم والفعل اللغوي والمقام، ويعرف هذا النوع من الأفعال الإنجازية بالاستلزام

الحواري، توصّل **سيرل** في هذه الحالة إلى أنّ الأفعال الإنجازية غير المباشرة تستعمل أكثر من الأفعال الإنجازية المباشرة التي تقتصر فقط على الأحكام الشرعية، والقضائية، والمعاملات التجارية، التي تتميز بالجدية والصرامة والأمر، بخلاف الأفعال الإنجازية غير المباشرة، التي تتميز بالتأدب والتعاون.

2. الحجاج:

يعتبر الإقناع من أهم الآليات التي يستعملها المتكلّم في تواصله اللغوي، وهذه الغاية إقناع السامع والتأثير فيه، وهذا بتوظيف مقاصد المتكلّم والرجوع إلى الخلفية الفكرية والاجتماعية والتداولية، كما أنّ الإقناع والاستدلال وتقديم البراهين من الأسس الحجاجية، فالحجاج هو مفهوم فلسفي بلاغي يستعمله المتكلّم في البرهنة والاستدلال على مقاصده وأغراضه في العملية التواصلية، لهدف إيصال أفكاره وآراءه إلى السامع مع إقناعه بحجج، وتخضع هذه العملية لآليات وأسس ترتبط بالسياق والمقام والمقاصد والجانب الاستعمالي للغة والخلفية الفكرية للمتكلّم والسامع لغرض توظيف حجة مقنعة، وهذا ما جعل الحجاج تداوليا، يقول **طه عبد الرحمان**: «[الحجاج] تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجيهات ظرفية [...] وأن يُفهِم المتكلّم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها، تعويلاً على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتا وإنكارا كلّما انتسب إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلّم.»[1] كما يقول **خليفة بوجادي**: «أنّ الحجاج يرتبط بالفعل، حيث يقوم من أجل ترجيح خيار من بين خيارات قائمة وممكنة، بهدف دفع فاعلين معينين في مقام خاص إلى القيام بأعمال إزاء الوضع الذي كان قائما، حيث يقوم بمفهومه على صناعة الجدل والخطاب.»[2]

الحجاج من المفاهيم الفلسفية القديمة، عند الفلاسفة أمثال: **أرسطوا**، حيث كان يستعمل الحجاج كخاصية إقناعيه، للبرهنة على بعض القضايا الفلسفية والاستدلال عليها، فاستعملوا الخطاب الحجاجي، وكذلك الحجاج في البلاغة فهو مبني على أسس بلاغية، الحجاج في البلاغة وعند **أرسطو** يقوم على القضايا الفلسفية المنطقية، التي تعالج القضايا الجدلية باستعمال تقنيات الحوار والتواصل

---

[1]– طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مركز الثقافي العربي، المغرب، ط:2، 2000م، ص: 65

[2]– ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار بيت الحكمة، الجزائر، ط:1، 2009م، ص: 105

ومراعات السياق ومقاصد المتكلّم وإقناعه بالحجة، ولكن هذا النوع من الحجاج لم يعرف تطوّرا إلاّ على يد مجموعة من اللسانيين الغربيين الذين أعطوا لها خاصية لسانية تداولية، فالحجاج عند **بريلمان وتتيكا**، كما يقول **خليفة بوجادي**: «يتجاوز النظر فيما هو حقيقي مثبت محدّد، إلى تناول حقائق متعددة ومتدرجة، فمبعثه إذًا هو الاختلاف وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار، حيث يقف فيه الآخر المحاجج موقف الشريك المتعاون، من أجل تحقيق غاية هي: استمالة المتلقي لما يعرض عليه.»[1]

الجديد الذي جاء به اللسانيون هو أنّ الحجاج يخضع لكل القضايا الجوهرية في التداولية من الحوارية والسياق والاتصال وأفعال الكلام، العملية الحجاجية تكون في الحوار، أي تكون مستلزمه حواريا وكل فعل كلامي هو عبارة عن حجة تكمن في القوة الإنجازية، فالقوة الإنجازية للفعل الكلامي وتأثيرها في المتلقي هي التي تحدد قوة الحجة، فالعملية الحوارية بين المتكلّم والسامع تبنى على كثير من المقاصد والألفاظ، وكذلك الحجج المتبادلة بين المتكلّم والسامع التي تقوم على التعاون.

للحجاج أنواع كثيرة، فكل عملية تخاطبيه وكل خطاب يحمل حجة على حسب نوع الخطاب وذلك للوصول إلى نتيجة هي إقناع السامع وإيصال الفكرة إليه، لذلك فالحجاج أنواع لأنّه لا يقتصر فقط على البلاغة أو التداولية لأنّه علم ذو مبادئ قديمة مقارنة بالتداولية، أنواع الحجاج هي:

1- الحجاج البلاغي: قد تجاوز الحجاج البلاغي الخطابة إلى الكتابة وباقي العلوم، فإنّه لم يزل محتفظا بخصائصه الأصلية: كسب تأييد المتلقي في شأن قضية أو فعل مرغوب فيه من جهة، ثم إقناع ذلك المتلقي عن طريق إشباع مشاعره وفكره بمعاني يتقبلها ويوافق على القضية أو موضوع الخطاب، وهاتان الخاصيتان تحاولان بناء مفهوم خاص للحجاج البلاغي، فيكون حجاجا موجّها إلى العقل والقلب.[2]

2- الحجاج التداولي: الحجاج التداولي يحمل في طياته القضايا التداولية، من أفعال الكلام والاستلزام الحواري، حيث الميزة التي تتميز بها الأفعال الكلامية من الفعل والقوة الإنجازية له التي تتقاطع مع السياق وظروف الاستعمال ومقاصد المتكلّم لغرض التأثير في المتلقي بإقناعه وبالتالي يتحقق الحجاج،

---

[1]- ينظر: خليفة بوجادي، مرجع سابق، ص: 107

[2]- ينظر: هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، مذكرة من متطلبات شهادة الماستير في الأدب العربي، جامعة ورقلة، (2013م)، ص: 42

وعليه فإنّ كل هذه الأسس والمعايير هي بمثابة عناصر خطابية وحوارية للحجاج حيث أنّ كل فعل كلامي هو عبارة عن حجة، وكذلك تتقاطع التداولية مع الحجاج في كثير من العناصر الخطابية.

يهتم الحجاج التداولي بالجانب التواصلي للخطاب وهذا بدراسة الظواهر القولية والتواصلية والاهتمام بأطراف الخطاب من المتلقي وطريقة تأثير الخطاب فيه، بالإضافة إلى أنّ الحجاج يلتقي مع التداولية في النشأة وهو أنّه كلاهما فلسفي ويخضعان ويعتمدان على العناصر التخاطبية والحوارية.

بعد استعراضنا لأنواع الحجاج نجد أنّه، سواء كان بلاغيا أو تداولية، فإنه يهتم بالتواصل والعملية الحوارية والمتكلّم والسامع والمقام بكل أنواعه بالإضافة إلى السعي لإنجاح العملية الحجاجية بالتأثير والإقناع، لذلك نجد تداخلا كبيرا بين هذه الأنواع.

نجد أنّ **بريلمان** من الفلاسفة الذين اهتموا بالحجاج التداولي، حيث أولى لعناصر الحجاج أهمية خاصة في إنشائه لنظرية الحجاج التي لا تكتفي بالأساليب اللغوية المنشئة فحسب، بل تولي اهتماما للظروف الخارجية التي تتعلق بكل من المخاطب والمقام خاصة، بما فيها النفسية الاجتماعية.[1]

قام **ديكروا** فيما يراه **صابر حباشة** بدراسة الحجاج بكل جوانبه الحوارية والتخاطبية السياقية والأفعال اللغوي، حيث يرى أنّ الحجاج معنيين:

- حجاج بالمعنى العادي: يقول **صابر حباشة**: «هي طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعا فعّالا، وهذا المعيار أو لتحقق السمة الحجاجية، غير أنّه ليس معيارا كافيا، إذ يجب ألاّ تعمل طبيعة السامع [...] فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته للسامع.»[2]
- الحجاج بالمعنى الفني: يقول **صابر حباشة**: «فيدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدّلالية، والخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية [...] أو قابلة للقياس بالدّرجات، أي تكون واصلة بين سلالم.»[3]

---

[1]– ينظر: هاجر مدقن، مرجع سابق، ص: 28

[2]– صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ط1، (2008م)، ص: 21

[3]– صابر الحباشة، مرجع سابق، ص: 21

أسس الحجاج في الدرس التداولي هو الحوارية العملية التخاطبية، التي تتحقق بتحقق حجاجية الفعل الكلامي، ومراعات المقام بالإضافة إلى التأثير في المتلقي، وهذا بتوظيف الآليات التواصلية وتحقق غاية المتكلّم من إقناع السامع لتقبل حججه، وهذا استنادا إلى طرائق مختلفة في الإقناع والبرهان أي أصناف متنوعة من الحجاج، لذلك يمكننا تصنيف الحجاج إلى:

أ. الحجاج التوجيهي: حيث يقوم المتكلّم بتوجيه حجج مباشرة للسامع، حيث يكون غرضه هو إيصال مقاصده وإقناع السامع.

ب. الحجاج التقويمي: يقول **عبد الهادي بن ظفاري**: «قد يكون خطاب المرسل حجاجا على خطاب متوقع من مرسل إليه يفترض المرسل وجوده تحسّبا لأي اعتراضات يواجه بها خطابه، [...] أمر بين الهدف الذي يريد تحقيقه هو الإقناع والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليهِ.»[1]

5) تعريف أسلوب الاستفهام:

ما نلاحظه في هذه السورة أنّها تحتوي على كلّ أنواع الاستفهام بتنوع الأدوات وصيغ العرض، فالاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوم، أو طلب الفهم أو الاستخبار ، ويعد الاستفهام من الأساليب الإنشائية الطلبية التي تدخل ضمن باب المعاني، والاستفهام ثلاث أنواع:

1- ما يطلب به التّصور والتصديق معا 2- ما يطلب به التصديق 3- ما يطلب به الطلب فقط.

يوجد نوع من الاستفهام تحدد صيغته التعبيرية من نبرة الصوت ونغمته فلا توجد أداة تميزه.

أدوات الاستفهام: تقسّم إلى قسمين على حسب نوع وصنف الأدوات:

أولا: حرف الاستفهام: (أ) الهمزة- هل

ثانيا: أسماء الاستفهام: ما -من -أي -كم -كيف -أين -أنّى -متى -أيّان.

أمّا عن تقسيم أدوات الاستفهام على حسب الوظيفة ونوع الطلب فهي كالآتي:

[1]- عبد الهادي بن ظفاري، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط:1، 2004م، ص: 473

الحروف:[1](أ)الهمزة، تستعمل لطلب **التصديق** وهو إدراك النسبة وتعيينها، ولطلب **التصور** وهو إدراك المفرد أي تعيينه، (هل)، تستعمل لطلب **التصديق**.

الأسماء[2]: يطلب بها **التصوّر** وهي:

{**ما**} يطلب بها شرح الشيء، {**من**} للسؤال عن الجنس، {**أي**} للسؤال عمّا يميّز أحد المتشاركين في أمر يعمهما، {**كم**} للسؤال عن العدد، {**كيف**} للسؤال عن الحال، {**أين**} للسؤال عن المكان، {**أنّى**} تستعمل بمعنى: كيف و(من أين) و(متى)، {**متى**} للسؤال عن الزّمان، {**أيّان**} للسؤال عن الزّمان، {**أيّ**} لتعيين الشيء والمكان.

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي ليؤدي وظائف أخرى تفهم من السّياق والمقام وقصد المتكلّم، وهذا النوع من الاستفهام كثيرا ما نجده في القرآن وهذا لطبيعة الخطاب القرآني، الذي يتّصف بأنّه خطاب من الله ولا يطلب الفهم من النّاس وهو العالم بكلّ شيء ومن بين هذه المعاني والتي يخرج إليها الاستفهام، وهذه بعض منها[3]:

1) النفي: كقوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَآءُ ٱلإِحْسَٰنِ إِلاَّ ٱلإِحْسَٰنُ**﴾[الرحمان:60]

2) الوعيد: قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلأَوَّلِينَ**﴾[المرسلات:16]

3) التشويق: قوله تعالى: ﴿ **هَلَ آدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ**﴾ [طه:120]

4) الأمر: قال تعالى: ﴿**فَهَلَ آنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[هود:14]

---

[1]- ينظر: أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت،ط1 ، 1980م، ص: 119

[2]-ينظر: أحمد مطلوب، مرجع سابق، ص: 119- 120

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص:120- 121- 122- 123

بعد التمهيد لدراستنا باستعراض المفاهيم التداولية المعتمدة من خلال الفقرة السابقة، نحاول في هذا الجزء من البحث أن نستعرض معالم التداولية في سورة آل عمران من خلال بحث دلالة الاستفهام على الأفعال الكلامية سواء باستنطاقنا لآيات السورة مباشرة أو البحث عن تلكم المعالم في لغة المفسر الذي يعد واسطة بين النص القرآني والقارئ.

يعد الخطاب القرآني من أرقى الأساليب الخطابية والتّحاورية من حيث تنوع صيغ الخطاب وأشكاله تنوّعا في دلالته ومعانيه وأساليبه البلاغية والنحوية وخروجها عن أصل وضعها، وهذا ما أضفى لمسة فنية زادت من جماليته وإيجازه وهذه الظاهرة نجدها في أسلوب الاستفهام وهو ما يعرف في التداولية بالأفعال الكلامية، إذ أنّ الاستفهام القرآني ليس كالاستفهام العادي في الخطابات العادية أو الفنية كما في الأجناس الأدبية المختلفة مثلا، فالقرآن يختص بنوع من الاستفهام الصادر من الله عزّ وجلّ والذّي يخرج عن أصل وضعه إلى معاني ضمنية تستنتج من السّياق والمقام وقصد المتكلّم، وهذا يعد من البحث التّداولي، إلاّ أنّه توجد أنواع أخرى وضعت لمعناها الحقيقي وهذا النّوع وارد في القصص القرآني، ولكن الغالب هو الاستفهام الذي يحمل أغراضا ضمنية لذلك فلابدّ من آلية تداولية تخضع للسياق والمقام لهدف استنباط تلك الأغراض الضمنية وهي الأفعال الكلامية، لذلك جاء هذا المبحث قصد استنباط معاني الاستفهام الدالة على الأفعال الكلامية في سورة آل عمران وفي تفسير تيسير التفسير **للشيخ أطفيش**.

المطلب الأول: دلالة الاستفهام على إثبات الوحدانية.

في هذا المطلب أقوم باستنباط معان الاستفهام الدالة على الأفعال الكلامية في إثبات توحيد الله والدين الاسلام والفوز بنعم الآخرة بالإضافة إلى قصة آل عمران ومريم وعيسى عليهم السلام، ونظراً لتنوع المواضيع التي تشترك في إثبات توحيد الله قسمت المطلب إلى قسمين:

أ. إثبات وحدانية الله وأنّ الدين عنده هو الاسلام وتحذير المسلمين من الانغماس في شهوات الدنيا الزائلة:

1) قال الله تعالى:﴿**قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥**﴾[آل عمران:15]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في هذه الآية هو: ﴿**قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ**؟﴾

الفعل الانجازي: الفعل الانجازي للاستفهام الوارد في الآية يحمل قوتين مباشرة وغير مباشرة.

﴿**قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ**؟﴾

- القوة الإنجازية الحرفية (الفعل الإنجازي المباشر) هي: **الاستفهام الاستخبار**.
- القوة الإنجازية الضمنية (الفعل الإنجازي غير مباشر): **التقرير، التشويق والإخبار**.

الفعل الكلامي المباشر هو الاستفهام بالهمزة{أ}، وقد جاء الاستفهام تقريريا، لأنّ الغرض من السؤال هو التقرير والتشويق، حيث إنّ هذا الفعل الكلامي يحمل قوة إنجازيه ضمنية غير مباشرة وهي أنّ سؤال النبي صلى الله عليه وسلّم موجه للذين اتقوا عند ربّهم (المؤمنين)، فقصد المتكلم لم يكن للاستفهام فلم ينتظر منهم الجواب فأدى إلى انجاز فعل كلامي ضمني هو **تقرير** المتكلم على أنّ النعيم الحقيقي هو نعيم الآخرة الذي لا يزول والفوز برضى الله، بالإضافة إلى **تشويق وحث** المؤمنين بالابتعاد عن الشهوات الدّنيوية لنيل النّعيم الأخروي، **ووعد** الله عزّ وجل المؤمنين بالجزاء الذّي سينالونه في الآخرة وهو النعيم، ولتعديل القوة الإنجازية للفعل الكلامي الضمني استعمل (خير) لتدعيم تلك القوة الانجازية، واستعمل كذلك مؤشّر (ذلكم) للزّيادة في التشويق والحث والوعد.

الفعل التأثيري: التأثير في السّامع من خلال حث المؤمنين على الابتعاد عن الشّهوات الدّنيوية وعدم الاهتمام بها، والتّقرّب إلى الله عزّ وجل فالقارئ لهذه الآية يتأثّر بها ويحاول جاهدا ترك الشّهوات والفوز بنعيم الله والجنّة ورضوانه بنفس متشوّقة لرؤية النعيم الذي أعدّه الله للمؤمنين المتّقين،

يقول **الشّيخ اطفيّش** في تفسيره للآية: «﴿**أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ**؟﴾ أي ذلك المزيّن من الشّهوات والاستفهام لتّحقيق خيرية ما عند الله على ذلك والخيرية للزّيادة المطلقة، [...]

وباعتبار أنّ الخير يتحقق في مستندات الدّنيا إذا كانت على وجه قصد الدّين»[1]وعليه إنّ **الشّيخ أطفيش** يقول: (الاستفهام لتحقيق خيرية ما عند الله)، إشارة إلى الفعل الكلامي الضمني للآية وهو التّحقيق، وقد توصّل إلى أنّ الاستفهام قد أنجز فعل غير مباشر هو تحقيق خيرية ما عند الله، بالإضافة إلى تحديده للمتكلّم وهو الله، حيث أسند الاستفهام وفعله (تحقيق الخيرية) إلى الله، بقوله: (ما عند الله) وهذا طرف الخطاب، أمّا عن قوله: (باعتبار أنّ الخير متحقق في مستندات الدّنيا إذا كانت على وجه قصد الدّين)، فنجد فيه إشارة إلى الفعل الإنجازي المباشر وهو المعنى الحرفي، وفيه بين إنجاز ذلك الفعل وهو أنّ الخير متحقّق في مستندات الدّنيا بتوجيه منهم وهو إذا كان لقصد الدّين، أمّا عن قوله: (الخيّرة للزّيادة المطلقة) فنجد أنّ الشّيخ توصّل إلى أنّ (الخير) في الآية زادت في القوة الإنجازية أي الخيّرة للزّيادة في القوة الإنجازية.

ونجد **للشّيخ أطفيش** بعدًا تداولياً حيث أشار إلى التّدرّج في زيادة القوة الإنجازية من الضعيفة إلى القوية وهذا في قوله: «واستأنف بقوله: ﴿**لِلذِينَ ٱتَّقَوْاْ.....** ...﴾أو بقوله: ﴿**عِندَ رَبِّهِمْ**...﴾ أي عنده لهم أو بقوله:﴿ **جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ**﴾ أي هي جنّات، وفي الأوجه الثّلاثة تفصيل بعد إبهام»[2]إن قول الشيخ بـ(التفصيل بعد الابهام) هو عبارة عن تدرجٍ في القول وزيادة في القوة الانجازية لغرض تشويق المسلمين المتّقين لما سَيلقَونه من نعيم في الآخرة.

وقد توصّل الشّيخ إلى أنّ للاستفهام أثر في المتلقّي، يقول **الشّيخ أطفيش**: «التّقوى اجتناب الكبائر أو مع الصّغائر، أو الإصرار عليها كبيرة، لا اجتناب الشّرك فقط، إلاّ من تاب بعد توحيده وقبل وجوب فرض فعل أو ترك، أو ترك الشّهوات الشاغلة عن الطّاعة»[3] نجد أنّ الشيخ حاول من خلال ذلك الاستفهام أن يبين حكم مرتكب الكبائر والذنوب.

---

[1]- قطب الأيمة الشّيخ الحاج محمّد اطفيش، تيسير التفسير، تح: الشّيخ إبراهيم طلاّي، المطبعة العربية، غرداية، دط، (1997م)، ج2، ص: 261-262

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 261-262

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص: 261

2) قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران:20]

الفعل الكلامي في هذه الآية والذّي يعرف بالفعل اللغوي عند أوستين وسيرل: ﴿ءَأَسْلَمْتُم؟﴾

الفعل الإنجازي: تحمل الآية العديد من الأفعال الإنجازية الغير المباشرة:

﴿ءَأَسْلَمْتُم؟﴾

- الفعل الذي يحمل قوة إنجازيه مباشرة حرفية هي: **الاستفهام**.
- الفعل الذي يحمل قوة إنجازيه مستلزمه مقاميا: **الاستبطاء، الحث، الأمر، التوبيخ**.

نجد أنّ الآية تحمل فعل كلامي مباشر هو الاستفهام وقد دلّ عليه أداة هي{أ}، بالإضافة إلى العديد من الأفعال الإنجازية المستلزمة مقاميا، أي المعاني الإنجازية الضمنية وهي **الاستبطاء، والحث** و**التوبيخ والأمر** الذي يعتبر المعنى الغالب على سياق الآية، فالسياق والقرائن المحيطة بالآية استلزمت الأمر وهو الفعل الكلامي الكلي، فالفعل الكلامي﴿ءَأَسْلَمْتُم﴾ يحمل معنى ضمني وهو **الأمر** فالرّسول صلّى الله عليه وسلّم يأمر أهل الكتاب والأميين بأن يسلموا وجههم لله تعالى خالصا له، فالفعل جاء في الماضي، دلالة على أنّه (قد جاءت الدّعوة الإسلامية ولكن لم تسلموا، ولكن يقول الرّسول أنّي أعيد وآمركم بالإسلام)، حيث إنّ القرينة والسّياق الذي دلّ على فعل الأمر في الآية هو ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ بالإضافة إلى فعل إنجازي غير مباشرة هو **التوبيخ والحث، حث** أهل الكتاب للاستجابة للدعوة وتوحيد الرسالة، **وتوبيخ** أهل الكتاب والمشركين على ضلالهم وعدم إسلامهم، فقد جاءتهم الدّعوة مع أنبيائهم ومع إبراهيم عليه السّلام ولكن حرّفوا ولم يتّبعوا ملّة إبراهيم رغم ادعائهم بأنّهم على دين أنبيائهم، إلاّ أنّهم على ضلال، فجاء سؤال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم توبيخا لهم.

الفعل التّأثيري: التأثير في المشركين وأمرهم بالعودة إلى الإسلام وتوحيد الله، فسياق الآية يحمل حجج باطلة لأهل الكتاب مع علمهم بضلالهم، أدّى إلى تأثّرهم بقول النبي صلّى الله عليه وسلّم.

يقول **الشّيخ اطفيّش** في تفسير الآية: ﴿**وَقُل لِّلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ**﴾ جنس الكتاب اليهود والصّابين والنّصارى: ﴿**وَالأُمِّيِّينَ**﴾ من لا كتاب له يقرأه أو يكتبه كمشركي العرب، أو هم مشركو العرب»[1]نجد في قول الشيخ تحديد لطرف الخطاب وهو المتلقّي، وفصّل في قوله بتحديد نوع المتلقّي وهذا في صميم البحث التّداولي وأهم خاصية في الأفعال الكلامية.

ويقول **الشّيخ اطفيّش**: «﴿**ءَأَسْلَمْتُم؟**﴾ أسلموا، كقوله: ﴿**فَهَل أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ [المائدة:91]، و﴿**فَهَلَ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ**﴾[الأنبياء: 80]. أي انتهوا وشكروا إذ جاءكم ما يوجب الإسلام، أو تقرير، أو استبطاء، كقوله لمن بالغت له من البيان: هل فهمت؟، أو توبيخ، أي أم بقيتم على كفركم؟»[2] نجد أنّ الشّيخ أوّل الاستفهام وبيّن معناه الحرفي والذّي هو الفعل الكلامي المباشر وقابله بفعل الانتهاء والشّكر، وبعد هذا التّحديد توصّل إلى المعنى الضّمني وهو الفعل الكلامي غير مباشر وهو فعل تقرير، أو الاستبطاء، أو التّوبيخ، فهنا لم يكتفي بفعل واحد بل تعددت الأفعال، وتحديده كان بتدرجٍ من القوة الإنجازية الضعيفة إلى القوية.

أمّا عن قوله: « أي انتهوا واشكروا إذا جاءكم ما يوجب الإسلام»[3]نجد فيه إشارة إلى الفعل التّأثيري، أي الأثر الذّي قصده المتكلّم في المتلقّي، وهذا ضمن الأفعال الكلامية، حيث نجد أنّ الشّيخ توصّل إلى الأثر الذي يتركه الفعل في المتلقي.

3) قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾**﴾ [آل عمران: 23]

الفعل اللغوي (الفعل الكلامي): ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ**﴾

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 272

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 272

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص: 272

الفعل الإنجازي: يحمل الاستفهام العديد من القوى الإنجازية المباشرة وغير مباشرة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ ٱوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ؟﴾

- الفعل الإنجازي الحرفي المباشر: **الاستفهام** ،**الإخبار** عن حال أهل الكتاب.
- الفعل الإنجازي غير مباشر المستلزم مقاميا: **التعجب والانكار**.

إنّ الآية تحمل فعلين كلاميين فعل كلامي مباشر هو **استفهام** بالهمزة {أ}، **والإخبار** عن حالة أهل الكتاب، وإنجاز فعل كلامي غير مباشر هو **التّعجّب**، إنّ الاستفهام في هذه الآية يخبر عن حالة أهل الكتاب وهم اليهود، ويحمل في متضمّنه فعل كلاميا ذو قوة إنجازيه غير مباشرة هي التعجب من حالة أهل الكتاب كيف أنّهم يطلبون كتاب الله ليحكم بينهم في اختلافهم وثمّ يعرضون بعد علمهم أنّهم على ضلال، لأنّ ذلك الكتاب ينافي أهواءهم، بالإضافة إلى فعل كلامي غير مباشر هو **الإنكار**، إنكار عن حالة اليهود الذّين يعرضون عن كتاب الله، ونلاحظ أنّ أداة النّفي المصاحبة للاستفهام (الهمزة) دعّمت القوة الإنجازية لفعل التعجب، بالإضافة إلى مفردة (يعرضون) التي دعمت القوة الإنجازية، بالإضافة إلى مقاصد المتكلّم، فقصد المتكلّم في هذه الآية كان واضحا، فالله لا يطلب الفهم أو الاستفهام من عباده، كما نجد أنّ المتكلّم وهو الله قد استعمل مبدأ التلطّف في خطابه فلم يكن نفيه مباشر بل وظّف قرائن و هي أداة الاستفهام حيث قامت بتلطيف الخطاب.

يقول **الشّيخ أطفيش** في تفسيره للآية: «﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾ تعجيب له صلّى الله عليه وسلّم أو لكل من يصلح له﴿**إِلَى ٱلذِينَ ٱوتُواْ نَصِيباً**﴾ بعضا، وذكره بلفظ النّصيب إشعار بكمال اختصامه بهم، وأنّه حقّ من حقوقهم، [...]»[1] نجد أن الشيخ في تفسيره قد بيّن غرض الاستفهام وهو التّعجّب وأسند هذا الفعل إلى المتلقي وهو الرّسول، فيقول الشّيخ إنّ (﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾ تعجيب له صلّى الله عليه وسلّم) وهو بمثابة تحديد للغرض الضمني للاستفهام والفعل الكلامي الضمني، وهو في صميم البحث التّداولي لأفعال الكلام، فالتّعجيب هو فعل إنجازي غير مباشر، أمّا عن تحديد الشّيخ

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 275-276

للمتلقّي في تفسيره فيدلّ على اهتمامه بالأثر الذّي يتركه فعل التّعجّب في المتلقّي، وكذلك اهتمامه بأطراف الخطاب وهذا من خصائص الأفعال الكلامية.

بعد تحديد الشّيخ للغرض الضمني للاستفهام وهو الفعل الكلامي غير مباشر نجده ينتقل إلى أغراض أخرى، ويعرف في التّداولية بالانتقال من الفعل الكلّي إلى الأفعال الصّغرى، فاعتبر الفعل الكلامي الكلّي و الأهم هو التّعجّب لأنّه خصّ فعل التّعجّب لقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ**﴾ دون اللواحق الأخرى، أمّا الأغراض الأخرى للاستفهام استنتجها من باقي الآية أي سياق الآية: وهذا القول يفسّر هذه الظاهرة: «[...]﴿**مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ**﴾ أي هو الكتاب، وهو التّوراة أو بعضا من جنس كتب الله فيشكل التّوراة وغيرها، قيل: أو جاء من الكتاب الذّي هو اللّوح المحفوظ، وعلى هذين فالتنكير تعظيم، ويجوز أن يكون تحقيرا، ووجهه أنّه ولو لم يكن معهم إلاّ نصيب قليل ينقادون به، لأمر الله لو استعملوا عقولهم فكيف لو كان لهم كثير، وفيه أنّ المقام لتقبيحهم لا لبيان أنّ القليل منهم كاف، ولو كان وجه هو ما ذكرته[...]»[1] نجد أنّ **الشّيخ** توصّل إلى أغراض أخرى للاستفهام، وهي الأفعال الكلامية غير مباشرة التّذكير والتّعظيم ثمّ التّحقير وصولا إلى التّقبيح، وقد دلّ على هذه الأفعال قرائن مصاحبة للاستفهام، لذلك اعتبر أنّ التّعجّب هو الغرض الحقيقي للاستفهام، وهو في الأفعال الكلامية يعرف بالفعل الكلامي الكلّي، أمّا الأغراض الأخرى استعرضها بترتيب على حسب قوتها الانجازية ليحدّد نوعية الغرض وقوته وهذه الأغراض هي أفعال كلامية غير مباشرة فرعية، وهذا يدخل ضمن نظرية الأفعال الكلامية.

كما نجد للشّيخ إشارة إلى الأثر الذّي يتركه الاستفهام في المتلقّي حيث يعرف في التّداولية بالفعل التّأثيري، حيث يقول **الشّيخ أطفيش**:« [...] ووجهه أنّه ولو لم يكن معهم إلاّ نصيب قليل ينقادون به لأمر الله لو استعملوا عقولهم فكيف لو كان لهم كثير [...] والدّعوة إلى التّوراة دعوة إلى القرآن لكونه مصدّقا لها، ومن جملة ما أوتوا من علومها وأحكامها تنوعت النّبيء صلّى الله عليه وسلّم وحقيقة الإسلام.»[2]يبيّن الشيخ هنا أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أثر في اليهود وبيّن لهم أنّ

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 276

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 276

كتابهم التّوراة يحمل نفس أحكام القرآن فالحكمة واحدة ومكمّلتين لبعضهما وما عليهم إلا أن يدخلوا في الاسلام، فهذا يعتبر في الأفعال الكلامية بالفعل التّأثير.

4)قال الله تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴿٢٥﴾﴾[آل عمران:25]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي): ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ** ؟﴾

الفعل الانجازي: ينتج عن هذا الفعل الكلامي فعل انجازي مباشرة وغير مباشرة يحدّده السّياق:

﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ** ؟﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام والاخبار**.
- الفعل الانجازي غير مباشر: **التهويل، التعظيم، التهديد، الوعيد، والتّعجّب**.

نجد في الآية فعل كلامي مباشر هو استفهام بـ{كيف}، وأفعال الكلامية غير مباشرة، والتّي تحمل قوة إنجازيه مستلزمه مقاميا تحدد من السّياق ومقام المتكلّم وقصده، من بينها فعل (**التهويل**)، تهويل لليهود لما سيلقونه يوم الحساب من عذاب جزاء ما عملوا، وهو تهويل النّفوس وتهديدها وتخويفها من عظمة يوم القيامة، وأنّه لا ينفع فيه غرور ولا مال ولا سيادة ولا أباطيل كان يتزعّمها اليهود على أنّهم أحبّاء الله، وأنّ النّار لن تمسّهم إلاّ أيّاما معدودات، أمّا عن الفعل الإنجازي الضمني الآخر فهو **التّعجّب** من حالة اليهود كيف أنّهم تكابروا وطغوا في طغيانهم وزيادة طمعهم رغم علمهم بالكتاب وأنّ الحق مع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وتعجّب لما سيلقونه يوم القيامة، وأنّ ما بيدهم حيلة بالإضافة إلى فعل كلامي ضمني هو: **التّهديد والوعيد** لأهل الكتاب لما سيلقونه يوم القيامة من عذاب جزاءًا لكفرهم وغرورهم وإعراضهم عن دين الله.

الفعل التّأثيري: نجد أنّ لهذه الآية تأثير في النّفوس البشرية بفعل التهويل لما سيلقاه الكافر يوم الحساب، فعندما يسمع المتلقي هذا السّؤال سيتأثر ويخاف من ذلك اليوم.

يقول **الشّيخ اطفيّش** في تفسيره للآية: «﴿**فَكَيْفَ**﴾ حالهم من حال فظيعة لا يحيط بها إلاّ الواحد القهّار، ﴿**إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ**﴾ في يوم، أو لقضاء يوم، أو جزاء يوم، ﴿**لَّا رَيْبَ**﴾ واضح لا يستحق الشّك فيه ولا في وقوع ما فيه، ﴿**وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ**﴾ صالحة أو عاصية، ﴿**مَّا كَسَبَتْ**﴾ أي جزاء ما كسبت »[1]نجد في قوله إشارة إلى المعاني التّي يؤدّيها الاستفهام، وعلى حسب طريقة عرضه نجد أنّها عرضها على شكل أفعال إنجازيه، فيقول: (حالهم هي حال فظيعة) نجد فيها فعل التّهويل وفظاعة التّهويل بالإضافة إلى الإشارة إلى فعل التّعظيم، في قوله: (جزاء يوم [...] واضح لا يستحق الشّك فيه ولا في وقوع ما فيه) وفيه معنى التّعظيم، تعظيم ذلك اليوم وهذا إشارة إلى الفعل الإنجازي المستلزم مقاميا، ومنه نقول إنّ الشّيخ توصّل إلى الأغراض الضمنية للاستفهام وقد أشار إليها ولم يصرح بها وتعتبر هذه الأغراض أفعال كلامية ضمنية وتوصل إلى الفعل التّوجيهي، وهذا كلّه في صميم البحث التّداولي في الأفعال الكلامية.

نجد أنّ **الشّيخ أطفيش** لم يصرح في استعراضه للمعاني الضمنية للاستفهام بل لمح لها كما أنه تدرج في استعراضها، وكان استعراضه على حسب القوة الإنجازية للفعل غير مباشر، فبدأ بالتّهويل وثمّ التّعظيم، وثمّ انتقل إلى الوعيد وهذا في قوله: «روي أنّ أوّل راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفّار راية اليهود، فيفضحهم الله تعالى على رؤوس الأشهاد ثمّ يأمر بهم إلى النّار»[2] نجد في هذا القول معنى فعل الوعيد، ويعرف في الأفعال الكلامية بالفعل الإنجازي الضمني، وفي طريقة انتقاله من فعل كلامي إلى آخر استند الى قوة الفعل من الضعيفة إلى القوية، حيث تعرف في الأفعال الكلامية بالزّيادة في القوة الإنجازية من ضعيفة إلى قوية وهي الوعيد.

يقول **الشّيخ أطفيّش**: «والكبائر محبطة للأعمال فالفاسق خالد في النّار كالمشرك إذ وفّي جزاء إصراره المبطل لعمله»[3]نجد في هذا القول أنّ الشّيخ أشار إلى الغرض التّأثيري لذلك الاستفهام في المتلقّي، وهذا يعرف في التّداولية والأفعال الكلامية بالفعل التّأثيري، أي أنّ الفعل التأثيري لذلك

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:279

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 279

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص: 279

الاستفهام هو أنّ (الكبائر محبطة للأعمال فالفاسق خالد في النّار كالمشرك وإذ وفّى جزاء إصراره المبطل لعمله) وهذه إشارة إلى الأثر الذّي يتركه الفعل في المتلقّي.

في الأخير يبين **الشيخ أطفيش** ونقول إنّ الاستفهام في هذا الجزء من السورة أنجز أفعال غير مباشرة تنوعت بين التكذيب والانكار والتعجب وغيرها من الأفعال وهذا لغرض التأثير في المتلقي بـ:

- إنّ الله يبيّن للمسلمين أنّ النعيم الحقيقي ليس في شهوات الدنيا بل في نعيم الآخرة الذي هو جزاء من عمل صالحًا ودعوتهم للحق.
- يجب على كل إنسان أن يؤمن بالله وحده لا شريك له ويدرك أنّ الدين عند الله هو الاسلام.
- التحذير من مكر أهل الكتاب ومحاولة تشويههم للدين الاسلام.
- تحذير وتهويل الكفار والنفس الانسانية العاصية لله من هول يوم القيامة لمن لم يعمل صالحاً.

ب. قصة آل عمران واصطفاء مريم ونصرة الحواريين للنبيء عيسى عليه السلام:

1) قال تعالى:﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآءُ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّآءُ ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾**﴾ [آل عمران: 37]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي): ﴿**قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا**﴾.

الفعل الانجازي:

﴿**قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا**﴾

- القوى الانجازية المباشرة للفعل الكلامي: **الاستفهام**.
- القوة الانجازية غير مباشرة للفعل الكلامي: **التّعجّب والاستغراب**.

الفعل الكلامي (أنّى لك هذا؟) يحمل قوة إنجازيه أدّت إلى فعل، و الآية تحمل فعلين كلاميين فعل إنجازي حرفي مباشر وهو **استفهام** بـ{أنّى} أي طلب الفهم والمعرفة من النّبي زكرياء عني سبب وجود ذلك الرّزق فكان سؤاله مباشرا وواضحا (أنّى لك هذا؟) أي كيف ومن أين لك هذا الرّزق؟

بالإضافة إلى فعل كلامي آخر يحمل قوة إنجازيه مستلزمه مقاميا غير مباشرة، وهو **استغراب وتعجّب** النّبي زكريا من مصدر وجود ذلك الرّزق الكثير وهم في عام الجفاف والقحط والفاكهة في غير موسمها، إنّ هذا الاستفهام أدّى إلى فعلين كلاميين أدّى وظيفتين، وظيفة الأصلية وهي الاستفهام وطلب معرفة مصدر الرّزق وكيف أنّه كل يوم يتواجد عندها رزقا كثيرا، وأدّى فعلاً آخر استنتجناه من سياق الآية ومقصد المتكلّم من سؤاله ومقامه، وهو تعبير النبي زكريا عن استغرابه من نوعية ذلك الرّزق وكثرته وتعجّبه من نوعية الرّزق والفاكهة من أين لها كل ذلك الرّزق وكثرته، وهو الكافل عليها من أين لها ذلك الرّزق وهو لا يعلم به، حيث لا أحد يدخل عليها فهذا يعتبر تعجّب استغراب.

الفعل التأثيري: التأثير في المتلقي والقارئ لهذه السّورة على أنّ الله قادر على كلّ شيء، وأنّ الإنسان لا يملك قوة والله هو الذّي يرزق وما على العبد إلاّ الدّعاء له.

يقول **الشّيخ أطفيش** في تفسيره للآية: « ﴿**قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ**﴾ وقد غلقت عليك سبعة أبواب، وكان يغلقها عليها، ولا يدخل عليها غيره»[1]نجد في قول الشّيخ أنّه اعتبر أنّ الاستفهام حقيقي ولم يخرج عن معناه الأصلي، أي المعنى الحرفي وهو الفعل الكلامي المباشر وهو الاستفهام أي (من أين لك ذلك الرّزق ؟) ولم يرى فيه تعجّبا واعتبره استفهاما حقيقيا يحمل فعلا كلاميا مباشر هو طلب المعرفة وهذا في تأويله، وقد استند في ذلك إلى: « ﴿**قَالَتۡ**﴾ وهي في غير أوان النّطق من الصّغر ﴿**هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ**﴾، من جنّته ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ**﴾انتهى كلامها»[2]فهذا جواب هو عبارة عن دليل على تأويله، إلاّ أنّ الشّيخ في تفسيره للاستفهام استعمل الاستراتيجية التّلميحية، حيث لمح إلى التّعجّب في سؤال زكريا.

2)قال الله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠**﴾ [آل عمران:40].

الفعل الكلامي: ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ**؟﴾.

[1]- الشّيخ الحاج أحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 306

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 306

الفعل الإنجازي: ينتج عن الفعل الكلامي قوة إنجازية مباشرة وغير مباشرة تحدد نوعيته السياق.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ؟﴾

- القوة الإنجازية المباشرة للفعل الكلامي: **الاستفهام**.
- القوة الإنجازية الغير المباشرة للفعل الكلامي هي : **التّعجّب والاستعظام**.

الفعل الكلامي في هذه الآية وهو **الاستفهام** عن كيفية حدوث الولد دلّت عليه قرينة هي الأداة{أنّى} والتي تحمل معنى {كيف}، أدّى إلى قوة إنجازيه غير مباشرة (مستلزمه مقاميا) هي **التّعجّب والاستعظام**، فالمتكلّم وهو زكريا قصد من سؤاله **استعظام** الله تعالى في خلقه و التعبير من تعجّبه عن كيفية حدوث الولد وهو قد بلغ الكبر، وكذلك امرأته بلغت الكبر وهي عاقرا، ما أدّى إلى استغرابه، وهذا الفعل الكلامي هو تعبير عن المشاعر فزكريا يعبّر عن مشاعره اتّجاه الله تعالى من **التّعجّب** والاستغراب من حالته، فالمتكلّم هنا نجده مراعٍ لمبدأ التّأدّب، فزكريا تأدّب مع ربّه فلم يقل له (أنّى يكون لي غلام؟) وسكت بل زاد (وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقرا) وهذا تأدّبا مع الله لأنّه هو القادر على كلّ شيء، ولكن لم يأخذ السّؤال مجرى الاستغراب من قدرة الله، والتّشكيك فيها فجاء السّؤال على تلك الصّيغة تأدّبا وزيادة في المعنى وتدعيما لمقصد المتكلّم، وهو التّعجّب من حدوث الولد في سن الكبر والعقر، واستعظاما لقدرة الله تعالى.

يقول **الشّيخ أطفيش** في الآية: «لم يخاطب الملك المبشّر له إعظاما لله عزّ وجل بإلغاء الوسائط»[1]نجد أنّ المفسّر هنا قام بتحديد طرق الخطاب واستعمل مصطلح (يخاطب)، حيث إنّ المتكلّم هو زكريا والمتلقّي هو الله، وهذا هو أهم شرط في الأفعال الكلامية، بالإضافة إلى أنّ الشّيخ أشار إلى نقطة هامة في تفسيره وهي أنّ المتكلم يخاطب الله مباشرة بدون وسائط، وهو يعرف في التّداولية بمبدأ التّأدّب حيث نجد فيه تأدّب من زكريا.

ويقول **الشّيخ**: «﴿**قَالَ رَبِّ**﴾ لم يخاطب الملك المبشّر له إعظاما لله تعالى بإلغاء الوسائط. ﴿**أَنَّىٰ**﴾ كيف، أو من أين ﴿**يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ**﴾ تسعة وتسعون سنة، أو

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:313

[...] و﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ؟﴾ وكبيرة السّن ثمانية وتسعون، وأصل العقر: القطع، فاعل للنّسب كالابن وذلك استبعاد بالنّسبة إلى العادة مع إيمانه بقدر الله على ذلك واستعظم وتعجّب»[1]نجد أنّ الشّيخ فصل في تفسيره لسؤال زكريا حيث، بيّن أنّ سؤاله لم يكن سؤالا يحمل معنى حرفي وهو طلب الفهم فقط، بل وجد أنّ للسّؤال معاني وأغراض أخرى وهي الاستبعاد والاستعظام والتّعجّب وتعرف بالأفعال الكلامية غير مباشرة (الضّمنية)، أي إنجاز فعل الاستبعاد والاستعظام والتّعجّب وقد فصل في هذا، وأوّل الاستفهام على حسب الفعل الذّي ينجزه فيقول: «أو استفهام حقيق: (يا رب أتريد وأيّاها إلى الشّباب وتزيل عقمها؟ أم تبقينا على حالنا وتزيل عقمها؟ أو ترزقني الولد من امرأة شابّة؟)، وقيل: استفهم الولد بالتّبنّي أم الصّلب، وفيه أنّه سأل من الصلب فلعلّه ذهل لعظم الأمر [...]»[2]في قول الشّيخ أطفيش أنّه أعطى تقديرا للاستفهام ولم يبقيه على حاله وأخرجه من معناه الأصلي، وقد تعدّدت تقديراته، وهذا يعرف في التّداولية بالأفعال الكلامية غير المباشر المستلزمة مقاميا، فنجد الاستفهام قد أدّى إلى إنجاز أفعال هي كما قال الشّيخ: الاستبعاد، الاستعظام، التّعجّب، وهذه أفعال إنجازيه ضمنية.

3) قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ۚ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ ۚ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ۚ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[آل عمران:44]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في الآية هو الاستفهام: ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

الفعل الإنجازي: يتنج عن الفعل الكلامي أفعال إنجازيه مباشرة وغير مباشرة.

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾

- الفعل الإنجازي الذّي يحمل قوة إنجازيه مباشرة هي: **الاستفهام والإخبار**.
- الفعل الإنجازي الذّي يحمل قوة إنجازيه غير مباشرة هي: **التّعجّب والتحير والتعظيم**.

[1]- الشّيخ الحاج أحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 313

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 313

بعد تحليل هذه الآية وجدنا أنّها أدّت إلى فعل كلامي مباشر هو إخبار النّبي عن الأمم السّابقة واستفهام بـ:{**أيُّ**}، ونجد أنّ هذا الاستفهام أدّى إلى إنجاز فعلين، فعل إنجازي مباشر صدر من الله عزّ وجل وهو المتكلم حيث قام بإنجاز فعل الإخبار، وقد تمّ تلقّي ذلك الخبر من النّبي صلّى الله عليه وسلّم، وفعل إنجازي غير مباشر قوّته الإنجازية مستلزمه مقاميا هي **التّعجّب والتّحير والتّعظيم**، أمّا بالنّسبة **للتّعجّب** فكان قصد المتكلّم (الله) من سؤاله هو إثارة التّعجّب في نفسية المتلقّي وهو النّبي صلّى الله عليه وسلّم من تقارعهم في كفالة مريم، وهذا الفعل أدّى إلى تعبير النّبي عن الحالة النّفسية وهو التّعجّب من مكانة مريم عند قومها، وهذا بمثابة فعل تأثيري في المتلقّي وهو التّعجّب والتّعبير عن الحالة النّفسية للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، أمّا بالنسبة لفعل **التحيير** فالمتكلّم في هذه الحالة قصد من سؤاله وصف حالة التحير التّي كان فيها الأحبار في كفالة مريم، فالفعل الإنجازي المستلزم مقاميا هو تحيّر سادت بني إسرائيل في كفالة مريم بعد تخاصمهم مع زكريا في إرجاع الكفالة إليه، وعليه فسؤال الله عزّ وجل فيه إنجاز لفعل غير مباشر وهو تحير سادة بني إسرائيل في زمنه الماضي، لأنّ المراد هنا في هذا المقام هو سرد أحداث القصّة للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، بالإضافة إلى فعل إنجازي غير مباشر وهو الاستعظام، حيث قصد المتكلّم من سؤاله إثارة فعل الاستعظام لدى النّبي صلّى الله عليه وسلّم أثناء سرده للقصّة فالرّسول صلّى الله عليه وسلّم استعظم من شأن مريم.

الفعل التأثيري: تأثّر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من خطاب الله عزّ وجل له فيما يخص مكانة مريم عند قومها، فالمتلقي تأثّر واستعظم قدرة الله في خلقه حيث بيّن لهم كل الأدلة في الدين و الاسلام وعبادة الله وحده لا شريك له من خلال قصة مريم.

يقول **الشّيخ أطفيش** في تفسيره للآية:«﴿**أَيُّهُمْ يَكْفُلُ**﴾ يربّي ﴿**مَرْيَمَ**﴾ ليظهر الذّي يكفل مريم، (فأيّ) موصول فاعل لمحذوف، أو يلقون أقلامهم ينظرون أيّهم...إلخ، و(ينظرون) حال، أو يقدّر (ناظرين)، أو ليعلموا أيّهم يكفل مريم، أو لينظروا أيّهم يكفل مريم، فهي استفهامية علّق بها النّظر، أو العلم المقدّر»[1]نجد أنّ الشّيخ في هذه الآية بيّن أنّ الاستفهام حقيقي، فالأحبار وزكريا هنا في الآية يطلبون العلم بمن سيكفل مريم، فبيّن الشّيخ أنّ الاستفهام هنا لطلب العلم ومعرفة من

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 321

سيكفل مريم فبذلك سيتحصّل الفعل الكلامي المباشر وهو فعل الاستفهام، فنجد أنّ الشّيخ لم يرى في الاستفهام خروجا عن معناه الأصلي ولم يجد فيه فعلا ضمنيا.

كما نجد أنّ للشّيخ إشارة إلى الفعل التّأثيري، أي التّأثير الذّي يتركه الاستفهام في القارئ، ولكنّه أشار أوّلا إلى معنى القرعة وتأثيرها في تمييز الحقوق فيقول الشّيخ: «وللقرعة تأثير تمييز الحقوق. فقال جعفر الصّادق: ما تقارع قوم فوّضوا أمرهم إلى الله سبحانه إلاّ خرج سهم المحقّ، ولا أعدل من قضية فوّض الأمر فيها إلى الله،[...]»[1] نجد أنّ الشّيخ بيّن تأثير القرعة في تمييز الحقوق وقد استند إلى قول جعفر الصّادق وبيّن التّأثير في بيان حقوق الإنسان من القرعة فيقول الشّيخ استنادا إلى قول الباقر فيقول **الشّيخ أطفيش**: «قال الباقر: (أوّل ما سوهم عليه مريم وقرأ ﴿**وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ**﴾. قلت: لا دليل في الآية على أنّها أوّل، بل تدلّ على أنّ القرعة معتادة قبل»[2] نجد أنّ هذا الاستفهام أدّى وظيفة التّأثير وهي إشباع ما في نفوس الأحبار وسادة اليهود من حب معرفتهم وتشوُّقِهم لمعرفة الكافل بمريم وهذا لمكانتها عندهم، ويُعرف في الأفعال الكلامية بالفعل التّأثيري، وقد أشار إلى هذا **الشّيخ أطفيّش**.

4) قال الله تعالى:﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾**﴾ [آل عمران: 47]

الفعل الكلامي(الفعل اللغوي): ﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾

الفعل الإنجازي: ينتج عن الفعل الكلامي أفعال إنجازيه متنوّعة تحدد على حسب قوتها الإنجازية:

﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾

- القوة الإنجازية المباشرة للفعل الكلامي: **الاستفهام**.
- القوة الإنجازية غير مباشرة للفعل الكلامي: **الإنكار والتّعجّب**.

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 322

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 322

بعد استقراء هذه الآية وجدنا أنّها تحمل فعل كلامي مباشر غرضه الإنجازي هو **استفهام** بـ{**أنّى**}، وهو طلب الفهم من المتكلّم وهو مريم وكان سؤالها عن كيفية حدوث الولد وهي لم تتزوّج ولم يمسسها بشر وهذا الخطاب موجه إلى الله عزّ وجل لطلب الفهم، بالنّظر إلى سياق السّورة وقصّة مريم وتبشيرها للولد كان معجزة خارجة عن ما اعتادت عليه فطرة الإنسان تبيّن أنّ هذا السّؤال يحمل أفعال ضمنية فالفعل الكلامي المستلزم مقاميا في سؤال مريم هو **التّعجّب والإنكار**، فالمتكلّم هنا وهو مريم قصدت من سؤالها **التّعجّب** من أمر حدوث الولد وهي لم تتزوّج ولم تكن لها علاقة مع رجل، فجاء تعبيرها للتّعجّب بسؤال موجّه إلى الله عزّ وجل، وما دعّم القوة الإنجازية الضمنية لفعل التعجب قوله تعالى:﴿**وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾، هذه الصيغة هي التّي دلّت على التّعجّب، بالإضافة إلى الفعل الكلامي غير مباشر وهو **الإنكار** والذّي استنتجناه من سياق القصة وقصد المتكلّم فمريم عند طرحها للسّؤال كان قصدها انكار حدوث الولد وهي طاهرة ولم يسبق لها الزّواج ولم تكن بغيّا، ولا يمكن لها الزّواج لأنّها وُهِبت للعبادة فجاء سؤالها يحمل معنى الإنكار، كما نجد في سؤال مريم تطبيق لمبدأ التّأدّب، حيث تأدّبت مع الله فلم تسأله سؤال يدل على التشكيك في قوّته، بل جاء سؤالها متأدّبا فقالت: ﴿**وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾حيث ذكرت السّبب من سؤالها تأدّبا مع الله عزّ وجل.

يقول **الشّيخ اطفيّش** في تفسيره للآية:«﴿**قَالَتْ رَبِّ**﴾ يا ربِّ ﴿**أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾ من الرّجال بزنى ولا بنكاح شرعيٍّ، ومن حرّر لبيت المقدس لا يتزوّج ذكرا كان أم أنثى، والمسّ في ﴿**كٓهيعٓصٓ**﴾[مريم: 01]، بالنّكاح الشّرعي لأنّ فيها: ﴿**وَلَمَ اكُ بَغِيّاً**﴾ [مريم: 20] وذلك تعجّب واستعظام لا إنكار أو استفهام أيكون الولد كما ذكرت بلا تزوّج أو بعد تزوّج»[1]نجد أنّ الشّيخ حدّد أطراف الخطاب المتكلم هو مريم والمتلقّي هو الله، وقام بتحليل ذلك الاستفهام، وقولها (ولم يمسسني بشرا) استنادا إلى (ولم أك بغيّا) في سورة مريم، إلى أن توصّل إلى المعنى الضّمني للاستفهام أو بالاصطلاح التّداولي الفعل الكلامي المستلزم مقاميا، نجد أنّ الشيخ بيّن أنّ الاستفهام أنجز فعل التّعجّب والاستعظام، وأشار كذلك إلى أنّ الفعل الكلامي المباشر هو الإخبار والوصف والتّقرير حيث تصف حالتها أنّها لم تتزوّج ولم تكن بغيّا تقرّ بذلك، وقد أشار

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 327

الشّيخ إلى ذلك حيث يقول: «من حرّر لبيت المقدس لا يتزوّج ذكرا كان أم أنثى»[1]وبيّن أنّ المعنى الحقيقي هو الوصف والتّقرير وهو الفعل الكلامي المباشر، وقد بيّن أنّ نفيه للاستفهام يعود إلى مقام المتلقّي وهو الله ، وهذا النّفي فيه إشارة إلى مبدأ التّأدّب في الآية يقول **الشّيخ**: «[...] لا إنكار أو استفهام أيكون الولد كما ذكرت بلا تزوّج أو بعد تزوّج، ولا يجوز أن تقول من أي شخص يكون، لأنّها قالت: ﴿**وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾»[2]نجد في هذا القول تطبيق لمبدأ التّأدّب، فالشّيخ توصّل إلى ما يُعرَف في التّداولية بمبدأ التّأدّب حيث أشار إلى أنّ مريم، استعملت مصطلحات تلميحيه تأدّبًا مع الله فلا يجوز لها أن تقول من أيّ شخص يكون الولد، فقد أشار الشّيخ إلى أنّ في سؤال مريم تلميح إلى مقاصدها وهذا يعرف في التّداولية بالاستراتيجية التّلميحية، أي تلميح على أنّها لم تتزوّج ولم تكن بغيّا وهذا التّلميح تأدّبا مع الله، بالإضافة إلى أنّنا نجد **للشّيخ أطفيّش** إشارة إلى مبدأ التعفف في التداولية حيث أنّ مريم تعفّفت في توجيه سؤالها حيث يقول في هذا: «لا يجوز أن تقول من إيّ شخص يكون لأنّها قالت: ﴿**وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ**﴾»[3] فهذا يعرف في التّداولية بمبدأ التّعفّف حيث استعملت مريم في خطابها مفردات لم يمسسني بشر تعفّفا لأنّها عفيفة ونظرا للمتلقّي ومكانته.

5) قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢**﴾ [آل عمران: 52].

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) الوارد في الآية: الاستفهام ﴿**قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ؟**﴾.

الفعل الإنجازي: ينتج من الفعل الكلامي أفعال إنجازيه تحدد على حسب قوّتها الإنجازية:

﴿**قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ؟**﴾ ← الفعل الإنجازية المباشرة: **الاستفهام، طلب الفهم**.

بعد استقرائنا للاستفهام الوارد في الآية وجدنا أنّها تحمل فعل كلامي مباشر وهو فعل صدر من المتكلّم عيسى عليه السّلام غرضه الإنجازي هو **الاستفهام** أو **طلب الفهم**، لذلك فالفعل الكلامي

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق،، ج2، ص: 327

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 327

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص: 327

في هذا الاستفهام مَنْ انصاري إلى الله؟ هو فعل إنجازي مباشرة وهو استفهام بـ:{مَنْ}، فقصد المتكلّم من هذا السّؤال هو توجيهه للمتلقي لطلب الفهم والإجابة، بالإضافة إلى تطبيق مبدأ الملاءمة فالسائل وهو عيسى عليه السلام كان على يقين من أن سؤاله سيفهم من طرف المتلقي وأن المتلقي على علم بمقاصده وأنه سيجد إجابة لهذا السؤال ونجد تطابقاً في المعنى الحرفي للسؤال ومقصد المتكلم، لذلك نجد فيه تطبيقاً لمبدأ الملائمة، بالإضافة إلى تطبيق مبدأ التأدب حيث نجد تأدباً في خطاب عيسى عليه فلم يكن سؤاله بصيغة سلبية مثلا: من كفر بي وبالله؟، بل جاء سؤاله متأدباً: من أنصاري إلى الله، حيث نجد فيه نوع من التلطف مع المتلقي واستدراجه إلى الدين الحق.

يقول **الشّيخ أطفيش** في الآية: «﴿**قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ** ؟﴾ من الذّين يضيفون أنفسهم إلى الله في نصري، ينصرونني كما ينصرني الله، أو ذاهبا إلى مرتبة من إقامة دين الله، أو موقع أتجرّد فيه لعبادة الله، أو ضامّا نفسي إلى أولياء الله في نصرة دينه ومحاربة عدوّه، أو ملتجئا إلى الله معتصما به، أو من أنصاري مع الله، أو في دين الله»[1] نجد أنّ الشّيخ في تفسيره لهذه الآية لم يفصّل في بيان الاستفهام ونوعه ذِكرًا، بل أشار وقدّر ذلك السؤال وأوّله فتبيّن فعل طلب الفهم فعيسى عليه السّلام يدعوا قومه إلى نصرة الله، وعليه نجد في تفسير الشّيخ إشارة إلى الفعل الكلامي المباشر، وهو فعل طلب معرفة أنصار الله، إذن نجد أنّ للشّيخ إشارة إلى البعد التّداولي كما نجد كذلك أنّ الشّيخ بيّن أنّ سؤال عيسى عليه السلام هو استفهام لم يخرج عن معناه الأصلي وكان ينتظر منه الجواب، الذّي يحمل معنى حرفي مباشر لذلك نقول أنّ فيه إشارة إلى مبدأ الملاءمة ملاءمة السّؤال للسياق والمتلقّي الذّي أجاب واضحة.

وفي الأخير نقول إنّ الاستفهام أنجز أفعال كلامي مباشرة وأخرى غير مباشرة تنوعت بين الانكار والتعجب والتعظيم وقد أشار إلى هذا **الشيخ أطفيش** وهذا لغرض التأثير في المتلقي بـ:

- ✓ أنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب.
- ✓ دعوة عيسى لقومه لنصرة الله والدين.
- ✓ بيان الله لأهل الكتاب أنّ الأديان كلها تدعوا إلى نصرة الله و عبادته وحده لا شريك له.

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 328

المطلب الثاني: دلالة الاستفهام في بيان كفر أهل الكتاب والدعوة إلى دين الاسلام.

في هذا المطلب أستنبط معاني الاستفهام الدالة الأفعال الكلامية من كفر أهل الكتاب وبيان افترائهم، وإقرار الأنبياء بدين الاسلام بالاستعانة برأي الشيخ أطفيش.

1) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾ [آل عمران: 65]

أوّلا: الفعل اللغوي (الفعل الكلامي): ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ؟﴾

الفعل الإنجازي: يدلّ الفعل الكلامي الاستفهام على أفعال إنجازيه مباشرة وغير مباشرة.

﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ؟﴾

- الفعل الإنجازي المباشر هو: **الاستفهام والإخبار**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار والتعجب**.

الفعل الكلامي أنجز فعلاً مباشر هو الاستفهام بأداة {**لِمَ**}، بالإضافة إلى فعل إخبار أهل الكتاب عن كذبهم وظلالهم، وقد أدّى إلى فعل **الإخبار** فالمتكلّم وهو الله أدّى لفعل الإخبار، أمّا عن الفعل الكلامي غير مباشر فنجد أنّ سؤال الله عزّ وجل أدّى إلى قوة إنجازيه مستلزمه مقاميا وهي **التعجّب والإنكار**، أي إنكار وتعجب المتكلّم للمتلقّي لما عليه من تخاصم، فقصد المتكلّم من استفهامه هو التعبير عن تعجّبه وإنكاره لما كان عليه اليهود والنّصارى من افتراء في محاججتهم للرّسول صلّى الله عليه وسلّم في أمر رجوع ديانة إبراهيم إلى اليهودية والنّصرانية، وما دعّم هذه القوة الإنجازية هو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ؟﴾ أي أنّ التّوراة والإنجيل جاءت بعد إبراهيم بسنين عديدة فلا مجال للمحاججة، وما دعّم هذا الإنكار هو نفي انتماء إبراهيم إلى اليهودية والنّصرانية بدليل قاطع وهو أنّ اليهودية والنّصرانية جاءت بعد إبراهيم فهذا السّؤال قام بفعل الإنكار وإبطال محاججة أهل الكتاب وإتيان المتكلّم بدليل يدعّم قصده وحجّته.

نجد أنّ **الشيخ أطفيش** في بداية تفسيره للآية بين المخاطب وسياق ورود الآية وهذا دلالة على البعد التداولي بسبب الاهتمام بأطراف الخطاب، يقول الشيخ: «﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ نزلت لما قدم وفد نجران وهم نصارى عرب إلى المدينة، واجتمعوا باليهود فقالت: النصارى: ابراهيم نصراني، وهم على دينه، واليهود: إنّه يهودي وهم على دينه، فكذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1]، نجد أنّ الشيخ حدد المتلقي المُخَاطَب وهو النصارى واليهود وحدد مرتبة المتلقي.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره: «﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ في دين ابراهيم بزعمكم أنّكم على دينه وتنازعكم عند محمد صلى الله عليه وسلم: فإنهم تنازعوا في ذلك عنده: قالت اليهود: (ما كان ابراهيم إلاّ يهودياً)، والنصارى: (ما كان إلاّ نصرانياّ) فحكم بأنّ الفريقين ليسوا على دينه، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ بزمن طويل»[2]نجد أنّ الشيخ بيّن الغرض من الاستفهام بقوله: (بزعمكم أنّكم على دين ابراهيم وتنازعكم عند محمد) نجد أنّ قوله بـ [زعمكم] و[تنازعكم] فيه اشارة إلى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب وعليه فإنّ الشيخ لم يصرح بغرض التكذيب ولكن أشار إليه ويعرف في التداولية بالفعل الإنجازي المستلزم مقاميا أو غير مباشر الذي استنبطناه من السياق و المقام، وما بيّن الغرض الضمني للاستفهام قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾، ثم قال الشيخ (بزمن طويل) نجد أنه بين أنّ تلك الآية زادت من قوة التكذيب ويقابله في الأفعال الكلامية ما يعرف بتدعيم القوة الإنجازية لفعل التكذيب، وعليه نقول أنّ الشيخ أطفيش لم يصرح بفعل التكذيب ولكن لمّح إليه وبيّن أنّ الاستفهام أو السؤال الصادر من الرسول صلى الله عليه وسلم يحمل معنى ضمني وأغراض ضمنية حيث تعرف في التداولية بالفعل الكلامي غير مباشر، والسؤال لم يقصد به طلب الفهم بل فيه إخبار وتوجيه وهو الفعل الكلامي المباشر.

ثانيا: الفعل الكلامي (الفعل اللغوي): هو الاستفهام ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾

الفعل الإنجازي: يدل الفعل الكلامي (أفلا تعقلون؟) على أفعال إنجازية مباشرة وغير مباشرة.

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص :354

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 354

﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ؟﴾

الفعل الإنجازي المباشر هو: **الاستفهام**.

الفعل الإنجازي غير مباشر هو: **الإنكار والتّعجّب**.

بعد استقراء الآية وجدنا أنّ الفعل الكلامي أدّى إلى إنجاز فعل مباشر هو **استفهام** بالهمزة{أ}، وأدّى إلى إنجاز فعل غير مباشر مستلزم مقاميا هو **التّعجّب والإنكار**، نجد أنّ المتكلّم قصد من سؤاله **التّعجّب** من أهل الكتاب كيف أنّهم لا يعقلون أنّ التوراة والإنجيل جاءت بعد إبراهيم وكلا الكتابين لم يتحدّثا عن ملّة إبراهيم، إذن فكيف تقولون أنّكم على ملّة إبراهيم، و من أين لكم العلم بملّة إبراهيم، أي تعجّب لحالة اليهود والنّصارى كيف يكذبون وهم على علم بالصّحيح والحق ويحاجّون الرّسول بالكذب والباطل، فتعجّب الله والرّسول من حالة اليهود والنّصارى وكذبهم وافتراءهم، وما أدى لتدعيم القوة الإنجازية لفعل التعجب أداة النفي {لا}.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية: «﴿**أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ؟**﴾ أتهملون التفكّر فلا تعقلون؟ أو تقولون ذلك فلا تعقلون؟»[1] نجد أنّ الشيخ أوّل الاستفهام وأشار إلى معناه وبين مقصد المتكلم من ذلك الاستفهام وهو إهمال التفكّر وقول اليهود والنصارى أنّ التوراة والإنجيل جاء بعد إبراهيم بآلاف السنين وثم يكذبون هذا القول هنا نجد فيه تحديد لجهة السؤال بالتأويل من طرف الشيخ، حيث اعتبر أنّ ذلك الاستفهام حقيقي لم يخرج عن معناه الأصلي ويراد به طلب المعرفة من اليهود والنصارى على أنّهم إن كانوا يعقلون أو يتذكرون أم لا، لذلك نقول أنّ فيه بعدًا تداولياً حيث اعتبر الاستفهام عبارة عن فعل كلامي مباشر يحمل قوة إنجازيه مباشرة هي طلب الفهم، وعليه نقول إنّ الشيخ لم يعطي للاستفهام أغراضاً أخرى أو أفعالاً أخرى غير الغرض الأصلي ولم يفصل فيه.

2) قال الله تعالى: ﴿**هَآنتُم هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: 66]

الفعل الكلامي(الفعل اللغوي) في الآية هو: ﴿**فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ؟**﴾

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:355

الفعل الانجازي: يدل الفعل الكلامي على أفعال إنجازيه مباشرة وغير مباشرة:

﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ؟﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام والإخبار**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **التّعجّب**.

بعد استقراء الاستفهام الواردة في الآية وجدنا أنّه يقوم بفعل **الإخبار** هذا في الفعل الكلامي المباشر، حيث أدّى إلى إنجاز فعل **الاستفهام** بـ{**لِمَ**} **والإخبار**، فالمتكلّم وهو الله يخبر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عن ظلال أهل الكتاب وأنّهم يحاجون فيما لا يعلمون، أمّا الفعل الكلامي غير مباشر فنجد أنّ المتكلّم قصد من سؤاله **التّعجّب** فإنّ الاستفهام الوارد من الله أدّى إلى إنجاز فعل ضمني وهو التّعجّب من حالة أهل الكتاب وهم يحاجّون الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فيما لا يعلمون ويحاجّون في إبراهيم بالكذب فتعجّب الرّسول من موقف أهل الكتاب وادّعاءاتهم بالكذب، والله يعلم وهم لا يعلمون وقد أنزل الله في أمر إبراهيم عليه السّلام في كتاب الله القرآن ما لا يعلمون، وما دعم القوة الانجازية للتعجب قوله تعالى:﴿**لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ**﴾.

يقول **الشيخ أطفيش** في الآية: «﴿**فَلِمَ تُحَآجُّونَ**﴾ بعضكم بعضا والمسلمين﴿**فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ**﴾ فإنه لا يخفى أنّ الجدال الباطل في ما لا علم به أغرب لكونه غير مبني على شيء من الجدال الباطل المبني عل حق محرّف، كأنّه قيل: هب أنّكم تجيزون محاجّة فيما تدّعون من دينكم الذي وجدتموه في كتبكم، وقلتم: إنّ شريعتنا لا تنسخ، فلم تجادلون فيما لا علم لكم به من أمر ابراهيم عليه السلام ولم تعاصروه، ولا جاء عنه أثر في كتبكم مشيرًا إلى دعواكم»[1]نجد أنّ الشيخ أشار إلى أغراض الاستفهام وهو الاستغراب وهذا لأنّ حجج أهل الكتاب مبنية على باطل لا يعلمونه، فنجد أنّ الشيخ لم يصرح بكون هذا الاستفهام غير حقيقي وغرضه التعجب والانكار، ولكن أشار أثناء تفسيره وشرحه لسبب محاججة أهل الكتاب للرسول في أمر ابراهيم إلى الاستغراب من أمر أهل الكتاب، وقد أدى هذا الغرض إلى فعل كلامي غير مباشر ضمني وهو الاستغراب من

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 355

حالة اليهود والنصارى، إذن نقول إنّ الشيخ أطفيش أشار إلى الفعل الكلامي غير مباشر للاستفهام وبيّن أنّ ذلك الاستفهام لم يقصد به طلب الفهم بل الاستغراب.

3) قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠ ﴾ [آل عمران:70]

الفعل الكلامي في الآية: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ؟﴾

الفعل الإنجازي: الفعل الكلامي أدّى إلى إنجاز فعل مباشر وغير مباشر وهو:

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام، وصف.**
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار والتوبيخ والتعجّب** من حالة أهل الكتاب وكذبهم.

الفعل الكلامي وهو **الاستفهام** بـ{لِمَ} أنجز فعلا وهو **وصف** حالة أهل الكتاب، **والإخبار** عن مكرهم وخداعهم، هذا في الفعل الإنجازي المباشر، أمّا عن مقاصد المتكلّم من هذا **الاستفهام** والذّي استنتجناه من سياق الكلام والذّي أدّى إلى فعل وهذا الفعل لديه قوة إنجازيه مستلزم مقاميا ومعناه غير مباشر وهو: **الإنكار والتوبيخ والتعجب،** حيث نجد **إنكار** الله لأعمال أهل الكتاب وادعاءهم الباطل وافتراءهم وكذبهم مع شهادتهم بأنّهم يعلمون الحقيقة، حقيقة الدّين الإسلامي ونبوّة محمّد، وخصّ بالكلام أهل الكتاب لأنّ كتبهم قد جاءت لهم بالحقّ وأشارت إلى نبوّة محمّد، بالإضافة إلى **التّعجّب** من حالة أهل الكتاب وهم يشهدون بالباطل ويكفرون، ﴿**وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ**﴾ حيث زادت من خطورة أمر أهل الكتاب، ودعّمت القوة الإنجازية وزادت من التّأثير في السّامع، بالإضافة إلى تطبيق مبدأ التّأدّب في الخطاب، فقال ﴿ **يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ** ﴾ تأدّبا معهم رغم أنّهم مخاطبون لأجل التوبيخ والتّأنيب، ولكن تأدب المتكلم مع أهل الكتاب لغرض استلطافهم والتأثير فيهم لتصديق نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

الفعل التّأثيري: الفعل الكلامي غير مباشر الإنكار والتعجب أثّر في المتلقي وهم أهل الكتاب، حيث خاطبهم الله بأهل الكتاب تأدّبا ثمّ وجّه إليهم صفة الكفر تأثيرا فيهم، ولدعوتهم إلى الحق.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية: «﴿ **يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ**﴾ بآيات التي في التوراة و الإنجيل، الشاهدات على نبوءة محمّد صلى الله عليه وسلم ورسالته، وبالقرآن وبالحجج الدّالة على نبوءته صلى الله عليه وسلم ﴿**وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ**﴾ تعترفون بأنّ التوراة والانجيل حقٌّ وهما مشتملان على نعت محمّد صلى الله عليه وسلم وكتابه القرآن؛ أو لم تكفرون بالقرآن وأنتم تشهدون حقيقته من التوراة و الإنجيل وبمعجزاته صلى الله عليه وسلم؛ أو تشهدون له إذا خلوتم»[1] نجد أنّ الشيخ لم يؤوّل الاستفهام إلى أغراض ومعاني ضمنية ولكن يصرح بذلك، لأنه لم يرى في سؤال محمّد صلى الله عليه وسلم مقاصد ضمنية، بل كان سؤاله مباشراً يحمل فعل كلامي حرفي مباشر وهو طلبه لمعرفة سبب كفرهم وهم يعرفون حقيقة التوراة و الإنجيل ويشهدون بالقرآن ومحمد ورسالته، وهذا الغرض من الاستفهام يعرف في التداولية بالفعل الإنجازي المباشر.

4) قال تعالى:﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴿٧١﴾﴾ [آل عمران: 71]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في الآية:﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ؟**﴾

الفعل الإنجازي: الفعل الكلامي أدّى إلى إنجاز فعل مباشر وغير مباشر وهو:

﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ؟**﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام، الوصف.**
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار، التّعجّب، والتّوبيخ.**

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:359

الفعل الكلامي **الاستفهام** بـ{لِمَ} أدّى إلى إنجاز فعل هو **وصف** حالة أهل الكتاب اليهود والنّصارى، **والإخبار** عن مكرهم هذا بالنّسبة للفعل الكلامي المباشر، والذّي أخبر فيه المتكلّم عن حالة اليهود والنّصارى ومكرهم ووصف هذه الحالة، أمّا بالنّظر إلى السّياق والمقام، فنجد أنّ للفعل الكلامي فعل إنجازي غير مباشر والذّي قصد به المتكلّم توجيه **إنكاره وتوبيخه** لأهل الكتاب من كتمانهم للحق وتسترهم بالحقيقة وتحريفهم للتوراة والإنجيل، **وتعجّب** المتكلّم وهو الله والرّسول من حالة أهل الكتاب من كتمانهم وتلبيسهم الحق بالباطل حتّى صار الباطل هو الأساس، **والتّعجّب** منهم كيف أنّهم يعرفون الحقّ ولكن لا يقرّون به، وهذا كفر بمحمّد وإعراضا عن الدّين الإسلام وما جاء به من حق، وما زاد من القوة الإنجازية هو استعمال الأمر حيث وجّه للمتكلّم خطابا مباشرا دعّم به القوة الإنجازية للفعل وهذا الخطاب الموجّه هو قوله تعالى: ﴿**وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾هذا الخطاب الذّي ورد بصيغة المخاطب بضمير (أنتم) وفعل (تعلمون)، زادت من القوة الإنجازية، قوة إنكار الله ورسوله من مكرهم وكتمانهم للحق بالباطل وتلبيسه له.

الفعل التّأثيري: التأثير في نفسية المتلقي وتنبيهه من مكر أهل الكتاب وخِداعهم والابتعاد عنهم، بالإضافة إلى التّأثير في أهل الكتاب وإشعارهم بالذّل والهوان من أعمالهم.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية: «﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ**﴾ تخلطون ﴿**ٱلۡحَقَّ**﴾ المنزل ﴿**بِٱلۡبَٰطِلِ**﴾ الذي تأتون به كذباً، فهما لا يفرّق بينهما، وذلك بتبديل الباطل مكان الحق بالتأويل الزائغ، وبإسقاط ما انزل، ويكذبون ويحسنون كذبهم، وبإظهار الإسلام أحيانا للنفاق، فيتوصلوا إلى غرض، وكما قالوا: ﴿**ءَامِنُواْ بِٱلذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ**﴾[آل عمران:72]، فإنهم إذا فعلوا ذلك فقد نافقوا ﴿**وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ**﴾ ما في التوراة والإنجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، ﴿**وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ**﴾ أنه حق وتقرون به إذا خلوتم، وربما أمرتم به من سألكم من غريب ومن ملتم إليه»[1] نجد أن الشيخ في تفسيره للآية قد فصّل في طرق أهل الكتاب في تبديل الحق بالباطل

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:359-360

والخلط بينهم والكذب الذي يتفننون فيه لإظهار الباطل حقاً للوصول لأغراضهم، رغم إقرارهم بالتوراة والإنجيل، إذن فالشيخ فصل في بيان غرض الاستفهام، بحيث نجد في تفسيره تلميح لفعل الانكار، أي انكار الرسول صلى الله عليه وسلّم لِما عليه أهل الكتاب من كذب وافتراء وكتمانهم الحق، فالشيخ لم يصرح بغرض الإنكار ولكن من طريقة شرحه تبيّن معنى الإنكار، وتبين أن ذلك السؤال لم يقصد به طلب الفهم، لذلك نقول إنّ الشيخ أشار إلى الأغراض الضمنية للاستفهام وهي الفعل الكلامي غير مباشر وهو الإنكار، فالشيخ عند سرده لأعمال اليهود والنصارى تبين أنه قصد التلميح إلى أنّ ذلك السؤال هو عبارة عن اخبار ووصف لحالة أهل الكتاب وهو في الأفعال الكلامية يعرف بالفعل الكلامي المباشر، لأن مقصد المتكلم هو بيان كذب أهل الكتاب و كتمانهم للحق الموجود في كتبهم، وتحذير المسلمين من اتباعهم والعمل بأقاويلهم الباطلة، إذن أقول إنّ الشيخ في تفسيره للآية لم يصرح بفعل الإنكار والاخبار ولم يستعمل مصطلحات توحي بالغرض الحقيقي والضمني للاستفهام، بل لمح إليها وهذا النوع من التلميح يعرف في التداولية بالاستراتيجية التلميحية، فالشيخ استعمل هذه الطريقة في تفسيره للآية أي التلميح إلى الفعل الكلامي غير مباشر وهو الإنكار.

5) قال الله تعالى:﴿**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذَ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: 80]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في الآية: ﴿**أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذَ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾

الفعل الإنجازي: الفعل الكلامي في الآية أدّى إلى إنجاز فعل لديه قوّة إنجازيه مباشر وغير مباشر:

﴿**أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذَ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام والإخبار**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار**.

الفعل الكلامي **الاستفهام** بالهمزة {أَ} أدّى إلى إنجاز فعل مباشر وهو **إخبار** أهل الكتاب والمسلمين أنّ الله لا يأمر عباده بالكفر بعد إسلامهم، وقد أرسل النّبيين والرّسل لعبادة الله وحده لا

شريك له، من سياق الآية نستنتج أنّها أدّت إلى إنجاز فعل كلامي غير مباشر فالمتكلّم قصد من خطابه وسؤاله **الإنكار** من حالة المسلمين الذين يدّعون أنّه يجب أن يتّخذوا النبي أو الملائكة أربابا استنادا لما عند النّصارى من تحريف في دينهم وهو اتّخاذ عيسى ربّا، فجاء خطاب الله ليبيّن لهم أنّه لا ينبغي لله أن يأمركم بالكفر بعد إسلامكم وخضوعكم لله لا قبل إسلامكم ولا بعده، وهذا **الإنكار** أثّر في المتلقّي من المسلمين وأهل الكتاب وهو خطاب موجّه إليهم للتّأثير فيهم لكي يعودوا إلى الدّين الحق ويعبدوا الله وحده لا شريك له، ومن يتّخذ غير الله ربّا فقد كفر.

الفعل التّأثيري: التأثير في المتلقّي من المسلمين وأهل الكتاب وأشعارهم بالضلال وأنّهم قد أساء إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وتغافلوا في فهم دعوتهم، فهذا الشّعور يؤدّي بهم بالعودة إلى الله.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية: «﴿**آيَامُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذَ آنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ بعد وقت إسلامكم، والاستفهام توبيخ على كفرهم وما يبنى على قولهم من التهاون بالكفر والتلويح بالبهت به، أو تعجيب للمسلمين»[1] نجد أن **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية بيّن المعاني الضمنية للاستفهام أي أغراضه الضمنية وحددها بالتوبيخ للكفار، أو التعجب، وهذه الأغراض هي في الأفعال الكلامية تعرف بالفعل الإنجازي غير مباشر أي الضمني، وعليه نقول الفعل الإنجازي غير مباشر الذي أشار إليه الشيخ في تفسيره للآية هو فعل التوبيخ و التعجب.

6) قال الله تعالى: ﴿**قَالَ ءَآ قْرَرْتُمْ وَأَخَذتُّمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۖ قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾**﴾ [آل عمران: 81]

الفعل الكلامي(الفعل اللغوي) في الآية: ﴿**قَالَ ءَآ قْرَرْتُمْ وَأَخَذتُّمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ**﴾

الفعل الإنجازي: الفعل الكلامي أدّى إلى إنجاز أفعال مباشرة وغير مباشرة منها:

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:375

﴿قَالَ ءَآ قْرَرْتُمْ وَأَخَذتُّمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾

الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام وطلب الفهم.**

الفعل الإنجازي غير مباشر: **التقرير والتّأكيد والتعهّد.**

الفعل الكلامي في الآية أدّى إلى أفعال إنجازيه مباشرة وغير مباشرة حيث أنّ الفعل الإنجازي المباشر هو **الاستفهام** أي طلب المتكلّم الفهم وقد دلّ عليه أداة **الاستفهام** الهمزة{أ}، فالمتكلّم يستفهم النّبيين ما إذا كانوا يتعهدون ويقرّون أنّهم يتبعون الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، بالإضافة إلى الفعل الإنجازي غير مباشر فالمتكلّم قصد من خطابه (استفهامه) **الإقرار والتّأكيد والتّعهّد**، أي أدّى بالمتلقّي وهم الأنبياء إلى **الإقرار** على أنّهم قد أقرّوا وأخذوا الميثاق، **وتأكيد** التّعاهد الذّي قطعه الله مع الأنبياء، بالإضافة إلى **العهد** الذّي قطعه الأنبياء على الله وهو إتباعهم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ونصرته واتباع دين الحق، وما دعّم القوة الإنجازية للتّأكيد قوله تعالى: ﴿**وَأَخَذتُّم**﴾، فهو لم يكتفي فقط بـ﴿**ءَآ قْرَرْتُمْ**﴾بل زاد القوة الإنجازية وأكّدها بـ﴿**وَأَخَذتُّم**﴾، بالإضافة إلى تطبيق مبدأ الملائمة حيث نجد ملائمة السؤال للجواب فالسائل وهو الله كان على يقينٍ من أن المتلقي سيفهم سؤاله، والاجابة ستكون واضحة نظرا لطبيعة المتلقي وهم الأنبياء والمتكلم هو الله لذلك كان الحوار مستوفياً لمبدأ الملاءمة.

الفعل التّأثيري: إقرار وتعهد المتلقّي وهم الأنبياء بإتّباع الرّسول والإيمان بما أنزل له من كتاب، والخضوع التام لله وقطع عهد على أنّهم يتّبعون الله والرّسول.

نجد أن **الشيخ أطفيش** في هذه الآية طبّق المنهج التداولي و طبق الأفعال الكلامية حيث نجد أنه ذكر المصطلحات التداولية وأطراف الخطاب حيث يقول: «﴿**قَالَ**﴾ للنبيئين»[1]، نجد أن **الشيخ** حدد طرف الخطاب وهو المتلقي وبيّن مقامه، ثم يقول: «﴿**ءَآ قْرَرْتُمْ**﴾ بذلك؟ والاستفهام تقرير، والمراد حمل المخاطب على الإقرار ولذا أجابوا بـ ﴿**أَقْرَرْنَا**﴾ إنشاءً»[2]نجد أن **الشيخ** بين غرض

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:378

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص:378

الاستفهام وهو التقرير وهو الفعل الكلامي غير المباشر، بالإضافة الى توضيح ذلك بقوله: (حل المخاطب على الاقرار) فهذا القول هو بمثابة فعل انجازي وحمل المخاطب على انجاز فعل الاقرار، لذلك نقول إنّ **الشيخ أطفيش** قد تمكن من تحليل ذلك الاستفهام تحليلاً تداولياً، كما أنّ الشيخ لم يجد في الاستفهام اخبارًا أي لم يؤدّي معنى الاخبار، فالفعل الإنجازي غير المباشر هو اقرار النبيئين على الايمان والنصر و العهد على الامم، حيث يقول **الشيخ أطفيش** في هذا: «﴿**وَأَخَذتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ**﴾ أي الايمان والنصر، ﴿**إِصۡرِي**﴾ أي عهدي على أممكم»[1] كما نجد للشيخ إشارة إلى الفعل التأثيري للاستفهام على المتلقي، يقول الشيخ أطفيش في هذا: «وقال علي وابن عباس وقتادة السدّيّ: (أخذ الميثاق على الأنبياء كلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه و سلم وعليهم، ويأمروا أقوامهم بالإيمان به و نصره، ويأخذوا العهد عن أقوامهم في ذلك إن ادركوه نصروه)»[2]وهذا بمثابة الاثر الذي يتركه سؤال الله على الأنبياء بحيث يتعهدون ويؤمنون ببعضهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ويأمروا أقوامهم بذلك لكي يعملوا بذلك الميثاق والعهد، وهذا يعرف في التداولية بالفعل التأثيري، لذلك نقول إنّ **للشيخ أطفيش** بعدا تداوليا.

7) قال الله تعالى: ﴿**أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ** ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: 83]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في الآية: ﴿**أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبۡغُونَ؟**﴾

الفعل الإنجازي: الفعل الكلامي في الآية أدّى إلى إنجاز أفعال مباشرة وغير مباشرة منها:

﴿**أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبۡغُونَ؟**﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام والإخبار**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار والتّعجّب والتوبيخ**.

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:378

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص:378

الفعل الكلامي ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ؟**﴾ أدّى إلى إنجاز أفعال منها فعل مباشر حرفي معناه سطحي هو **الاستفهام** بالهمزة{أ}، و**الإخبار** عن دين الله، وأنّ دين الله هو الحق وقد أسلم له كل ما في السّماوات والأرض طوعا وكرها، بالنّظر إلى سياق الآية ومقام المتكلّم نجد أنّ المتكلّم قصد من سؤاله إنجاز فعل كلامي غير مباشر هو **إنكار** ما جاء به أهل الكتاب وهو طلبهم لدين غير دين الله، وإنكار لحالتهم السّيئة، بالإضافة إلى إنجاز فعل غير مباشر وهو **التّعجّب** أي **تعجّب** الله من أهل الكتاب كيف أنّهم يطلبون دينا غير دين الله وهم يعلمون الكتاب والحكمة وقد جاءتهم رسل قبل محمّد ولكنّهم يعرضون وينكرون، وهم لم يكتفوا فقط بمجادلة الرّسول، بل تعدّوا إلى أن يطلبوا بدين غير دين الله يتماشى وأهواءهم مع علمهم أنّ لا دين غير دين الله، كما أنّ فعل الإنكار والتّعجّب أدّى إلى فعل **التّوبيخ**، وهو توبيخ الله لأهل الكتاب عن ضلالهم وتعدّيهم لحدود الله.

الفعل التّأثيري: التّأثير في المتلقّي وهم أهل الكتاب وإشعارهم بالخسران، وكذلك التّأثير في المتلقّي على المدى البعيد في المستقبل بأنّ الدّين عند الله هو الإسلام وأنّ كل ما في السّماوات والأرض قد اسلموا وأنّ كل الدّيانات الأخرى غير الإسلام لن يقبلها الله.

نجد أنّ **الشيخ أطفيش** فصّل في هذه الآية حيث يقول: «﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ؟**﴾ أتجهلون فتبغون غير دين الله؟ أو أتهملون أنفسكم عن التأمل فتبغون غير دين الله؟ أو أتولّون فتبغون...إلخ»[1] في هذه الآية قدّم المفعول و أخّر الفعل وهذا لأهميته في زيادة المعنى، ثم يقول الشيخ في نفيه للتقدير في الآية فيقول: «[...] ولأنّه قد لا يوجد تقدير، كقوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ**﴾[الرعد:33]، وقدّر بعضهم: ألاّ مدبر للموجودات؟ فمن هو قائم، والمعنى: أينتفي المدبر فلا أحد قائم؟ لا يمكن ذلك؛ والأَولى إلى أمكن التقدير وصحّ المعنى بلا تكلّف قدِّر وإلاّ فلا، وإن لم نقدِّر فالعطف على ﴿**قَآئِمٌۢ بِكَسْبِهِۦ**﴾ عطف فعلية إنشائية على اسميّة إخبارية، لأنه أفاد نكتة قولك: هم في الحال يبغون، فكأنها إسمية، والإنكار في معنى الإخبار فإنّها خبرية، كأنه قيل: لا ينبغي لهم أن يبغوا غير دين الله»[2]نجد أنّ الشيخ بيّن أنّ جملة الاستفهام

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:379

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص:379

خبرية، لأنه قصد بها الإخبار و الإنكار أي إنكار من يبتغي غير دين الله، معطوفة على ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، أي أنّ الفاسقون هم الذين يبغون غير دين الله، أما عن قول الشيخ بالإخبار فنقول إنه بيّن أنّ الاستفهام قد خرج عن أصل وضعه وهو الإنشاء وطلب الفهم إلى الإخبار وهذا هو الفعل الكلامي المباشر، فالسّائل هنا في هذه الآية وهو الرسول قام بفعل الاخبار وعليه نقول إنّ **الشيخ أطفيش** أشار إلى الفعل الانجازي المباشر للاستفهام وبالتالي فلديه بعدا تداوليا، ثم يقول **الشيخ أطفيش**: «وقدّم ﴿غَيرَ﴾ للفاصلة و للاهتمام، ولأنّه المقصود بالإنكار للحصر، لأنّ المنكر اتخاذ غير دين الله دينا و لو مع دين الله، ومن عبد الله مع غيره فليس عابدًا لله، ومن هذا يكون للحصر وجه لطيف، لأنّ دين الله لا يجامع دين غيره، فإذا بغوا غير دين الله ودينه فإنهم لم يبغوا إلاّ غير دينه»[1]ونجد في هذا القول أنّ الشيخ أشار إلى الغرض الضمني للاستفهام والإنكار وبيّن أنّ قصد المتكلم ليس الاستفهام بل الاخبار بالإنكار، أي إخبار المتكلم للمتلقي بإنكاره الشديد، وبيّن أنّ سؤال الرسول صلى الله عليه و سلم هو بمثابة إخبار، ففي هذا القول موقع الفعل الكلامي المباشر، أمّا عن قول الشيخ أطفيش بالإنكار فهو فعل كلامي غير مباشر أي انجاز فعل الإنكار من المتكلم على انه (لا ينبغي اتخاد غير دين الله دينا ولو مع دين الله)، للتأثير في المتلقي بأنّ ذلك التّصرف منكرًا، ويقول **الشيخ أطفيش**: «ادّعى أهل الكتابين اليهود والنصارى متخاصمين عنده صلى الله عليه وسلم أنهم على دين ابراهيم، كلّ يدعيه لنفسه وينفي عنه غيره، فقال صلى الله عليه وسلم: (كلكم بريء من دينه)، فغضبوا وقالوا: والله ما نرضى بقضائك؛ ونزل تكذيبا لهم بأنّه لا فريق منهم على دينه قوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ ...﴾ إلى قوله: ﴿...وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾، ويقبل إسلام من أسلم لنتق الجبل أو للسيف إن أقام عليه»[2]يبيّن الشيخ أنّ الاستفهام في هذا السياق قد أدّى غرض التكذيب، أي تكذيب أهل الكتاب فيما ادّعوه على أنهم على دين ابراهيم، وعليه نقول إنّ الشيخ توصّل إلى بيان فعل التكذيب، وهو فعل كلامي غير مباشر استنتجه من السياق وهو فعل انجازي ضمني، أدى إلى انجاز فعل تكذيب أهل الكتاب، فالمتكلم كذّب المتلقي وهو أهل الكتاب، وعليه نقول إنّ للشيخ بعدًا تداوليًا وقد توصّل إلى فعلين كلاميين

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:379-380

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص:380.

غير مباشرين الإنكار والتكذيب، ويبيّن الشيخ أطفيش أنّ (غير) قدمت على الفعل و هذا لقصد الإنكار، وعليه نقول أن الشيخ اعتبر (غير) هي التي زادت القوة الانجازية للفعل ودعمته، فبقوله: (قدم (غير) للفاصلة وللاهتمام) يقصد أنّ (غير) دعّمت القوة الانجازية لفعل الإنكار وزادت منه، وبالتالي نقول إنّ **الشيخ أطفيش** قد استوفى كل شروط الفعل الكلامي، بحيث وضّح وبيّن موقع كل من المتكلم والمخاطب ومقصد المتكلم وبيّن الغرض الضمني للاستفهام وهو الفعل الانجازي غير مباشر، والفعل المباشر وهو تحول الاستفهام الى الإخبار، و بيّن تدعيم القوة الانجازية بتقديم المفعول على الفعل ولكن بدون ذكر المصطلحات التداولية ما عدا مصطلح الاخبار والقصد.

8) قال تعالى: ﴿**كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾**﴾ [آل عمران: 86]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في هذه الآية: ﴿**كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ**﴾

الفعل الإنجازي: هذا الفعل الكلامي أدّى إلى قوة إنجازيه مباشرة وغير مباشرة

﴿**كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ**﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام والإخبار**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **النّفي، الإنكار والاستبعاد**.

الفعل الكلامي الاستفهام بـ{كيف} أدّى إلى إنجاز فعل مباشر هو **الإخبار** عن حالة من يرتد عن الدين ويكفر بعد إيمانه بالله والرّسول، ويكفر ويتحوّل عن الدّين بعدما وجد أنّه لا يناسب أهواءه، بالنّظر إلى السّياق ووجهة الخطاب ومقام المتكلّم نستنتج أنّ الاستفهام أدّى إلى إنجاز أفعال كلامية غير مباشرة يقصدها المتكلّم من خطابه هي **النفي**، أي نفي هداية الأقوام الذين يرتدّون عن دين الله بعد علمهم للحقيقة كلّها والإيمان بالرّسول وشهادتهم بدين الله، لأنّ الكفر حدث عن قناعة وبعد ادّعاء بالإسلام ولم يأتي ذلك الكفر عن جهل، بالإضافة إلى فعل **الإنكار**، إنكار الله تعالى

لحالة أقوام كفروا بعد إيمانهم وشهادتهم ففي هذه الحالة يمكن أن نقول أنّ شهادتهم كانت زورا، وأنكر الله هداية هذه الأقوام لأنّها أعرضت عن الدين بقناعة وعلم بالله فارتدّت فقد ظلموا أنفسهم، بالإضافة إلى فعل **الاستبعاد**، فالمتكلّم قصد من استفهامه استبعاد حدوث الهداية لهؤلاء الأقوام الذّين كفروا بعد إيمانهم، فهذه الأفعال تصف هول وقباحة التّصرّف الذّي تصرّف به المرتدّون عن دين الله وأرادوا أن يسير الدين و تصدر أحكام الدين على حسب أهواءهم، وما دعّم هذه القوة الإنجازية (للإنكار، والاستبعاد والنّفي) قوله تعالى: ﴿**كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ**﴾ فنجد أنّ الله عزّ وجل لم يكتفي في خطابه فقط بقوله: ﴿**كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ**﴾ بل زاد من هول ما تصرّفوا به تدعيما لمصداقية قوله، وللتّهويل لشناعة تصرّفهم وتدعيما للقوة الإنجازية مما أدّى إلى الإنكار والاستبعاد.

الفعل التّأثيري: الفعل الكلامي أدّى إلى أفعال غير مباشرة وهي الإنكار والاستبعاد والنّفي وهذه الأفعال تؤثّر في المتلقي، فالله عزّ وجل وجّه خطابه إلى جماعة من أهل قريش كفروا بعد إيمانهم وهذا الخطاب وجه لعامة النّاس فالسّامع لهذا الخطاب سيتأثّر به ويخاف من الله عزّ وجل ويبتعد عن الكفر وهذا الخطاب موجه للأقوام للتأثير فيهم بأنّ الله لن يغفر من كفر وتولّى عن الدّين.

يقول **الشيخ أطفيش** في هذه الآية: «﴿**كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ**﴾ هداية توفيق، وأمّا هداية بيان فوقعت لهم، ﴿**قَوْماً**﴾ هم هؤلاء الاثنا عشر المرتدّون، استبعد هدايتهم أو نفاها لانهماكهم في الضلال بالردّة بعد غاية وضوح دين الاسلام كما قال: ﴿**كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ**﴾ وذلك في الإثنى عشر المذكورين، قضى الله عليهم أن لا يتوبوا إلاّ الحارث بن سويد، وليس كلّ مرتد لا يتوب، فإنّ بعض المرتدين تابوا وأصلحوا»[1]وضّح **الشيخ أطفيش** أنّ هذه الآية تحمل غرضين للاستفهام الاستبعاد والنفي وهذين هما الغرضين الضمنيين، ويعرفان بالفعل الكلامي غير مباشر الضمني وقد استنتجه من سياق ومقام الآية، فجاء الاستفهام لاستبعاد هداية قوم كفروا بعد ايمانهم وارتدّوا ونفيها في حق الجماعة الاثني عشر، وإنجاز فعل النفي ثم نجد الشيخ يفصّل في هذا ويقول: «والآية استبعاد توبة المرتد لا نفي، وهي نفي في حق الاثني عشر لعلم الله أنهم لم يتوبوا من قلوبهم، ولا يصلحون،

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:384-385

ولو أرسلوا من مكة إلى أهلهم بالمدينة، أنظروا هل لنا من توبة؟»[1]وعليه فإنّ الشيخ بيّن أنّ المتكلم قصد نفي هداية الجماعة التي ارتدّت، بالإضافة إلى الإشارة إلى التأثير الذي يتركه ذلك الاستفهام في المتلقي، حيث أنّ لسؤال الرّسول صلى الله عليه وسلم تأثير في المتلقي وأداء فعل التأثير وقد بيّن **الشيخ أطفيش** ذلك في تفسيره فيقول: «وهي نفي في حقّ الاثني عشر لعلم اللّه أنّهم لم يتوبوا من قلوبهم، ولا يصلحون، ولو أرسلوا من مكّة إلى أهلهم بالمدينة، أنظروا هل لنا من توبة؟ فالآية مُؤيِسَةٌ لهم عن أن يوفّقوا»[2]نجد أنّ الشيخ يبين أنّ الاستفهام جاء لغرض التأثير في الجماعة التي ارتدّت عن دين الله وتأييسهم في أنّهم تابوا، لأنّ التوبة لم تكن صادقة وهذا يعرف في الأفعال الكلامية بالفعل التأثيري وعليه نقول إنّ الشيخ توصّل إلى ما يعرف في التداولية بالفعل الكلامي غير مباشر وبالفعل التأثيري ولكن لم يستعمل المصطلح التداولي فكان يقابله في الاستفهام ما يسمى بالغرض، وتوصّل إلى فعلين انجازيين ضمنيين غير مباشرين الاستبعاد والنفي.

9) قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ** ﴿٩٨﴾﴾ [آل عمران: 98].

الفعل الكلامي في الآية: ﴿**لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ؟**﴾

الفعل الإنجازي: الفعل الكلامي أدّى إلى إنجاز أفعال مباشرة وغير مباشرة:

﴿**لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ؟**﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **استفهام، الوصف.**
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار، التّعجّب والتّوبيخ.**

الفعل الكلامي أدّى إلى إنجاز فعل مباشر هو الاستفهام بـ{لم}، بالإضافة إلى **وصف** حالة أهل الكتاب، وهو سؤال من الله موجّه لأهل الكتاب على لسان الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ولكن سياق الآية يبيّن أنّ الغرض من السؤال الموجّه لأهل الكتاب ليس الاستفهام بل انجاز فعل كلامي

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:385

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص:385

غير مباشر مستلزم مقاميا وهو **الإنكار والتّعجّب والتّوبيخ**، إنكار الله والرّسول صلّى الله عليه وسلّم من حالة أهل الكتاب وهم يكفرون بآيات الله ويعرضون عنها، كما نجد كذلك استنكار شديد من الله على جحدهم وإنكارهم رغم أنّهم يعلمون آيات الله، وقد جاءهم الكتاب ويعلمون الحق وهم على يقين لما جاء عن الإسلام والكتاب المنزّل وهو القرآن، ويعلمون حق دعوة محمّد إلاّ أنّ هذا اليقين والعلم بالحق أهملوه، وكفروا بآيات الله في هذه الحالة استعجب الله من موقفهم وأنكره إنكارا شديدا وجاء قوله:﴿**وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ**﴾ ليحيل إلى فعل كلامي غير مباشر مستلزم مقاميا وهو **التّوبيخ** فقول الله شهيد على ما تعلمون يدلّ على سعة علمهم وتطلّعهم بآيات الله والدّين ودعوة محمّد إلاّ أنّهم يكفرون، فشهادة الله أدّت إلى قوة التّوبيخ لهم فقوله:﴿**وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ**﴾ دعّمت القوة الإنجازية وزادت من قوّتها، حيث زادت من قوّة الإنكار والتّوبيخ والذّي أدّى إلى **التّهديد** تهديد أهل الكتاب على أنّ الله يعلم وشاهد على مكرهم وخداعهم، وأنّهم سيلقون جزاءهم في الدّنيا والآخرة، ونجد أنّ المتكلم طبّق في خطابه مبدأ التلطّف، فالله عزّ وجل تلطف في سؤاله لأهل الكتاب، فلم يخاطبهم بالنّصارى أو اليهود بل خاطبهم بأهل الكتاب لاستلطافهم لكي يرجعوا إلى دين الله، وأنّهم من أهل الكتاب وقد جاءتهم الأنبياء بالكتب والحق، فالله راعى مقام أهل الكتاب وخاطبهم بخطاب يليق بمقامهم لغرض التّأثير فيهم ولإقامة الحجّة عليهم وهي علمهم بآيات الله والرّسول محمّد صلى الله عليه وسلّم.

الفعل التّأثيري: جاء الفعل الانجازي غير مباشر الانكار والتوبيخ للتأثير في المتلقي واشعاره بالتقصير في حق الله.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره لهذه الآية: «﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ**﴾ تجحدون ﴿**بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ**﴾ القرآن وسائر الوحي إليّ وسائر معجزاتي الدال على ذلك كله على صدقي فيما أقول من وجوب الحج وغيره، وقيل المراد بقوله: (ومن كفر) من لم يحج تغليظاً كأنّه مشرك، كما جاء في الحديث: (ومن قدر ولم يحج بلا عذر فإن شاء مات يهوديًا أو نصرانيًا)، [...] والآية ظاهرة في أهل الشرك ولو احتملت الكفر العام بكفر الشرك وكفر النفاق»[1]نجد أنّ **الشيخ أطفيش** بيّن أنّ

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:407

السؤال موجه لأهل الكتاب، فنجده فسّر الآية على أساس أنها لم تخرج عن أصلها، فجاء هذا السؤال من الرّسول صلى الله عليه وسلم موجّه للكفّار يسألهم فيه عن سبب كفرهم وهم أحق بهذا الدين رغم علمهم بالآيات والقرآن، لذلك نقول إنّ الشيخ لم يؤول الاستفهام لذلك نقول إنّ هذه الآية في نظر الشيخ لم تخرج عن أصلها وهو طلب الفهم لذلك فإنها تحمل فعلاً كلاميًا مباشرًا هو طلب الفهم.

10) قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: 99]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في الآية: ﴿**لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾.

الفعل الإنجازي: الاستفهام أدّى إلى إنجاز فعلين كلاميين فعل حرفي وفعل مستلزم مقاميا وهو:

﴿**لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ**﴾

- الفعل الإنجازي الحرفي المباشر: **الاستفهام والإخبار**.
- الفعل الإنجازي المستلزم مقاميا غير مباشر: **الإنكار، التوبيخ والتّهديد**.

الفعل الكلامي وهو الاستفهام بـ{لم} أدّى إلى إنجاز فعل مباشر حرفي هو **الاستفهام** والسّؤال عن حالة أهل الكتاب، سؤالهم عن سبب صدّهم للجماعة المسلمة، ونظرا لسياق الآية فإنّ الفعل المنجز المباشر هو **الإخبار**، أي إخبار المسلمين عن خطر أهل الكتاب ونواياهم الخبيثة ضد الإسلام والمسلمين. وكذلك إخبار رسول الله عن نوايا تلك الجماعة، نظرا لسياق الآية والقرائن المصاحبة له فإنّ الاستفهام أدّى إلى أفعال كلامية مستلزمه مقاميا غير مباشرة هي: **الإنكار والتّوبيخ والتّهديد، استنكار** الله على أهل الكتاب إنكاره لأعمالهم الشّنيعة وهي صدّ المسلمين عن الحق، وإنكاره عن إعراضهم عن الحق وتكذيبهم لآيات الله، و**توبيخهم** على أعمالهم وضلالهم وتضليلهم للمؤمنين والمسلمين، فجاء ذلك الخطاب من الله عزّ وجل توبيخا لأهل الكتاب، وما زاد من القوة الإنجازية ودعمها وزاد من قوة التّوبيخ قوله عزّ وجل: ﴿**وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ**﴾ وهذا يدل على مكرهم وخداعهم،

وتأثيرا في نفوسهم، فقوة توبيخ الله تعالى لأهل الكتاب كان قويا، فالتّعبير الوارد في خطاب الله كان شديدا واستعمل مصطلحات قوية هي الصّد صدّا كاملا عن الحق، وفيها مصطلحات قوية وشديدة أشارت إلى مكرهم، وازداد تأكيده بقوله: ﴿**تَبْغُونَهَا عِوَجاً**﴾، بالإضافة إلى فعل **التّهديد**، حيث إنّ الله تعالى بسؤاله أدّى إلى تهديد أهل الكتاب، بما سيلقونه وإنّ الله ليس بغافل عمّا يعملون.

الفعل التّأثيري: نجد أنّ المتكلّم قصد من فعل الانكار والتوبيخ والتهديد التّأثير في المتلقي وهم أهل الكتاب والمؤمنين، بالتّأثير في نفوسهم من خلال توبيخهم وإشعارهم بالضلال وسوء عملهم.

نجد أن **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية بيّن أنّها تحمل معنى التأكيد حيث يقول الشيخ: «﴿**قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ**﴾ كرّره للتأكيد و الإشعار بأنّ الصدّ وحده مهلك كما أنّ الكفر وحده مهلك ﴿**لِمَ تَصُدُّونَ**﴾ تصرفون ﴿**عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾ القرآن وسائر الوحي والمعجزات بالتحريف وبتبديل صفات النبي صلى الله عليه وسلم وكتمها»[1] نجد أنّ **الشيخ أطفيش** بيّن أنّ الاستفهام جاء تأكيدًا واشعارًا بأنّ الكفار صدّوا عن سبيل الله وأنّ الصدّ وحده مهلك، كما أنه عندما قال الشيخ (إشعارًا) فكان يقصد به (تنبيها)، لذلك نقول إنّ الشيخ أطفيش بيّن أنّ الغرض الضمني للاستفهام هو التأكيد و الاشعار، أي أنّه لم يأتي ليؤدي وظيفته الحقيقية وهي طلب الفهم، بل جاء للتأكيد بأنّ الكفار ما زالوا على كفرهم وضلالهم وتنبيها لأهل الكتاب ومن اتبعهم، أن الصدّ عن سبيل الله وحده كفيل بالكفر والهلاك على حسب تفسير الشيخ، ونقول إنّ الغرض الضمني للاستفهام هو التأكيد والاشعار (التنبيه)، وهو بمثابة الفعل الكلامي غير مباشر للاستفهام أي الفعل الانجازي غير مباشر التأكيد والإشعار (التنبيه)، وعليه نقول إنّ الشيخ أشار إلى أنّ المتكلم قصد من سؤاله إنجاز فعل التأكيد و الإشعار، أمّا عن قول الشيخ بـ: «﴿**قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ**﴾ كرّره للتأكيد و الإشعار[...]»[2] فنجد أنّه أشار إلى التكرار للتأكيد والاشعار، فهذا القول فيه معنى أنّ ﴿**قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ**﴾ هي عبارة عن مدعّم للقوة الانجازية للتأكيد والاشعار، فتكريرها في الآية السابقة وهذه الآية فيه تدعيم للقوة الانجازية كما في الافعال الكلامية.

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:408

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص:408

11) قال الله تعالى:﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: 101]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في الآية هو: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾.

الفعل الإنجازي: الاستفهام أدّى إلى إنجاز فعلين كلاميين مباشر وغير مباشر:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾.

- الفعل الإنجازي الحرفي المباشر: **الاستفهام**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر مستلزم مقاميا: **الإنكار، التوبيخ، التعجّب والتّحذير**.

الاستفهام بـ{كيف} في الآية هو عبارة عن فعل كلامي أدّى إلى إنجاز فعل مباشر هو الاستفهام وإخبار عن حالة المؤمنين وهم يعرضون عن دين الله ويكفرون به مع علمهم بآيات الله ورسوله، إلاّ أنّ سياق الآية ومقامها أدّى إلى إنجاز فعل كلامي مستلزم مقاميا هو: **الإنكار، التّوبيخ، التعجّب والتحذير**. **إنكار** الله تعالى من كفر المؤمنين والمسلمين وهم تتلى عليهم آيات الله والرّسول معهم في عصرهم فكفرهم فيه إنكار شديد من الله، لأنّه لا يوجد سبب للكفر وفيه **تعجّب** من بعض المسلمين الذّين كفروا ببعض آيات الله وهم مع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، بالإضافة إلى **توبيخ** المسلمين الذّين كفروا بالله وهم تتلى عليهم آيات الله المعجزة، وكذلك وجود الرّسول بينهم، لذلك جاء التّوبيخ على أساس أنّه كيف تكفرون ومعكم كلّ هذه الأدلة على صدق الرّسول ودعوته، فجاء خطاب الله توبيخا لهم و**تحذيرا** لهم من الكفر بآيات الله ورسوله وإنّ كل من كفر بالله فإنّ له جزاء عسير يوم القيامة.

الفعل التّأثيري: التأثير في نفوس المؤمنين بأنّ الله قادر على كلّ شيء، وأنّ الدّين الذّي يتّبعونه هو الحق وأنّ كل من سمع آيات الله المعجزة وعاصر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا حجّة له في الكفر، وتحذيرهم من أهل الكتاب وعدم إتباعهم والإعراض عنهم، ومن يعتصم بالله فإنّه قد هدي إلى الطريق المستقيم، فالمتلقّي عند سماعه للآية سيبتعد عن الكفر.

نجد أنّ **الشّيخ اطفيّش** في تفسيره لهذه الآية استعمل المصطلحات التّداولية وهي (السّامع، التّعجّب، الإنكار) كما نجد فيه إشارة واضحة لإنجاز الفعل حيث يقول **الشّيخ اطفيّش** في تفسيره: «﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ عجّب للسّامع وإنكار للسّياق للكفر مع القوّة أسباب الإيمان، وقطع الكفر كما قال بـ(واو الحل) ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ بتكرير وهنّ آيات القرآن الدّافع للشّبه والوساوس، ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ لم يغب ولم يمت، وهو متمكّن من قول الحقّ قائل به لكم مجهوده»[1] من خلال تفسير الشّيخ تبيّن لنا أنّ غرض الاستفهام في هذه الآية على حسب رأي المفسّر هو التّعجّب والإنكار، وعليه نقول إنّ الاستفهام خرج عن معناه الأصلي وهو بمثابة الفعل الكلامي غير مباشر، أي إنجاز فعل غير مباشر هو التّعجّب من طرف السّامع وهو أهل الكتاب وإنكار من المتكلّم عن الكفر في تواجد الآية والرّسول، وعليه نقول إنّ التّعجّب والإنكار هما الفعل الإنجازي المستلزم مقاميا للاستفهام، وبالتّالي نقول إنّ **للشّيخ اطفيّش** بعدا تداوليا، حيث يقوله: (تعجّب للسّامع) يدلّ على أنّ السّامع أنجز الفعل الكلامي التّعجّب أمّا بقوله: (وإنكار للّياقة الكفر ...) يقصد به المفسّر أنّ المتكلّم أنكر أعمال أهل الكتاب، أي أنجز فعل الإنكار.

وفي الأخير نقول إنّ الاستفهام أنجز أفعال كلامي مباشرة وأخرى غير مباشرة تنوعت بين الانكار والتعجب والتوبيخ والنفي والتحذير، وقد أشار إلى هذا **الشيخ أطفيش** إلا أنّنا نجد بعض الاختلاف، وهذه الأفعال لغرض التأثير في المتلقي بـ:

- ✓ يبيّن الله أنّ أهل الكتاب لا أمانة ولا عهد لهم حيث يشوهون دين اسلام بافترائهم وخداعهم.
- ✓ تحذير المسلمين من أهل الكتاب ونواياهم الخبيثة لضحد دين الاسلام.
- ✓ بيان حقيقة النّظام الكوني ونظام الله في مردّ كل الديانات إلى دين الاسلام وأنّ كل الأنبياء والرسل مردّهم إلى الاسلام ومن يبتغي غير هذا الدين فإنه قد أعرض عن نظام الله في كونه.
- ✓ إصرار أهل الكتاب على الكفر.
- ✓ بيان وجوب فريضة الحج والدعوة إليها.

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 410

المطلب الثالث: الأفعال الكلامية في قصة غزوة أحد والدعوة للصبر والجهاد في سبيل الله.

في هذا المطلب أستنبط دلالة الاستفهام الدالة على الأفعال الكلامية من قصة غزوة أحد بالعودة إلى رأي الشيخ أطفيش.

1) قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ [آل عمران: 106]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) هو الاستفهام: ﴿**أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ**﴾

الفعل الإنجازي: الاستفهام أدّى إلى إنجاز فعلين كلاميين مباشر وغير مباشر:

﴿**أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ**﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار، التّعجّب والتّوبيخ**.

الاستفهام بـ{الهمزة} هو عبارة عن فعل كلامي أدّى إلى إنجاز فعل مباشر هو الاستفهام وهو وارد من الله عزّ وجل موجّه إلى الكفار ونظرا لمقام المتكلّم وسياق الآية نجد أنّه يوجد أفعال أراد أو قصد بها المتكلّم من خلال خطابه إنجاز أفعال مستلزمه مقاميا وهي **إنكار** الله عزّ وجل من حالة الذين اسودّت وجوههم وهم أهل الكتاب والمنافقين والمرتدّين، حيث استنكر الله أعمالهم الشّنيعة وهي تفرقة المسلمين والكفر بآيات الله فقد كفروا بعد إيمانهم بآيات الله ورسوله لذلك **استنكر** الله استنكارا شديدا، أدّى إلى توبيخهم على أعمالهم وكفرهم، فالاستفهام هو **توبيخ** موجّه لأهل الكتاب والمرتدّين الذين كفروا بعد إيمانهم، وهذا **الإنكار والتّوبيخ** أدّى إلى **تهديد** موجّه للجماعة التّي كفرت بعد إيمانها، بأنّ الله ليس بغافل عمّا يفعلون وقد أعدّ لهم عذاب أليم، وهذا لتّأثير فيهم وفي نفوسهم، وما أدّى إلى تدعيم القوة الإنجازية هو قوله تعالى (بعد إيمانكم) فقوله (بعد) دلالة على أنّهم كانوا مؤمنين وخاضعين لله تعالى ولكن كفروا بعد كلّ ذلك الإيمان فقوله (بعد إيمانكم) زاد من القوة الإنجازية وأدّى إلى زيادة قوة الإنكار والتّوبيخ والتّهديد، فهم لم يكفروا عن جهل أو ضلال بل كان عن قصد وغرور، وقرينة أخرى دعّمت القوة الإنجازية للتّهديد دلّت عليه وهي قوله تعالى:

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، هذا القول أدّى إلى فعل التّهديد، تهديد الكفار لما سيلقونه يوم القيامة بسبب كفرهم.

الفعل التّأثيري: التّأثير في المتلقّي من أهل الكتاب والمنافقين والمرتدّين، وإشعارهم بعذاب النّفس وسوء الحال.

يقول **الشّيخ اطفيّش** في تفسيره للآية: «﴿ٱلذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾فيقال لهم: أكفرتم أو فيلقون في النّار ويقال لهم: أكفرتم؟ والاستفهام توبيخ للكافرين، وتعجّيب للمنافقين»[1]نجد أنّ الشّيخ في تفسيره بيّن أغراض الاستفهام أي المعاني الضمنية وهي التّوبيخ والتّعجّب، وهي بمثابة الفعل الكلامي غير المباشر، كما أنّنا نجده يحدّد طرف الخطاب وهو المتلقّي فينسب إنجاز فعل التّوبيخ للكافرين، وإنجاز الفعل الضّمني التّعجّب للمنافقين وعليه نقول إنّ **الشّيخ اطفيّش** بيّن أطراف الخطاب في تفسيره للاستفهام وبيّن مقام المتلقّي، وأسند كل فعل إلى المتلقّي، فتوصّل إلى الفعل الكلامي غير المباشر وهو التّوبيخ والتّعجّب، ثمّ يفصّل في ذلك ويقول: «﴿بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾يعني إيمانهم يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[الأعراف: 172]، والخطاب للكفّار كلّهم أو جعل حالهم لظهور حجج الإيمان إيمانا، أو الخطاب لليهود والنّصارى كفروا به إذ بعث بعد اعترافهم به قبل بعثه، أو للمرتدّين، أولهم خصوصا وللكفّار عموما»[2]في هذا الجزء من التّفسير نجد أنّ الشّيخ استعمل مصطلح الخطاب وهذا لاهتمامه بالخطاب والمخاطب، وهذا يدخل ضمن الأفعال الكلامية، ولم يكتفي بذلك فقط، بل بيّن المتلقّي ومقامه ولم يكن متلقٍ واحد بل كان للكفّار وأهل الكتاب والمنافقين والمرتدّين، وهذا يعود إلى تنوّع الخطاب القرآني ومصدر الفعل هو الله تعالى حيث وجّه فعل كلامي مستلزم مقاميا هو التّوبيخ والتّعجّب، لذلك نقول إنّ الشّيخ تمكّن من الإشارة إلى تنوّع الفعل الكلامي غير المباشر على حسب المتلقّي والسّياق، إذن فلشّيخ بعدا تداوليا في تفسيره للآية حيث اهتمّ بالمتكلّم ونوع الخطاب وبيّن أغراض الاستفهام وهي أفعال كلامية ضمنية، أمّا عن قول **الشّيخ**

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 422

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 422

أطفيش في تفسيره: «أو[الخطاب لليهود والنّصارى والمرتدّين] خصوصا وللكفّار عموما»[1]فنجد فيه تحديد للفعل الكلامي الكلّي وهو تّوبيخ الكفّار ويقابله في قول الشّيخ: (للكفّار عموما) فتعميمه للخطاب للكفّار هو بمثابة الفعل الكلامي غير المباشر الكلي وهو التّوبيخ أمّا عن قوله: بـ([الخطاب لليهود والنّصارى والمرتدّين]خصوصا) نجد فيه فعل كلامي جزئي موجّه لليهود والنّصارى والمرتدّين وهو فعل أنجازي غير مباشر التعجّب، وهو فعل جزئي لأنّ الآية موجّهة للعامة والكفّار، وعليه نقول إنّ للشّيخ اطفيّش أبعادا تداولية في تفسيره.

2) قال الله تعالى: ﴿**إِذْ تَقُولُ لِلْمُومِنِينَ أَلَنْ يَّكْفِيَكُمْ أَنْ يُّمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَثَةِ ءَالَفٍ مِّنَ أَلْمَلَئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾**﴾ [آل عمران: 124].

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي):﴿**أَلَنْ يَّكْفِيَكُمْ أَنْ يُّمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَثَةِ ءَالَفٍ مِّنَ أَلْمَلَئِكَةِ مُنزَلِينَ**﴾.

الفعل الانجازي: الاستفهام أدّى إلى إنجاز فعلين كلاميين مباشر وغير مباشر.

﴿**أَلَنْ يَّكْفِيَكُمْ أَنْ يُّمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَثَةِ ءَالَفٍ مِّنَ أَلْمَلَئِكَةِ مُنزَلِينَ**﴾.

- الفعل الإنجازي الحرفي المباشر: **الاستفهام**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر المستلزم مقاميا: **التذكير، التقرير، الحث، والوعد**.

الفعل الكلامي المباشر هو الاستفهام بالهمزة{أ}، وهو استفهام من الله للمسلمين ما إذا كان يكفيهم ذلك العدد من الملائكة في غزوهم للمشركين، نظرًا لسياق الآية والمتكلم نجد أنّ الاستفهام أدى إلى إنجاز أفعال كلامية غير مباشرة هي **التذكير والحث والوعد والتقرير، تذكير** المسلمين في غزوة أحد، لما أصابهم يوم بدر من نصر في الجهاد حيث أمدّهم الله بالملائكة لمساعدتهم في الجهاد، فهذا الامداد كان نتيجة صبرهم في الجهاد وسماعهم لأوامر الرسول، لكي يصبروا ويتقوا الله لينصرهم كما نصرهم في غزوة بدر، وتذكيرهم أنّ الأمر كله بيد الله فالنصر من الله، وحمل المتلقي على **الاقرار** من أنّ الله أمدهم بثلاثة آلاف من الملائكة لنصره في الجهاد، بالإضافة إلى **حث** المسلمين على

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 422

الصبر والجهاد في سبيل الله نصرة الدين، بالإضافة إلى **وعد** الله للمسلمين بنصرهم وإمدادهم بالملائكة إن صبروا احتسبوا أمرهم لله وأطاعوا الرسول، وما دعم القوة الإنجازي لفعل الحث والتقرير هو قوله تعالى: ﴿**أَلَنْ** ﴾ فاستعمال أداة النفي فيه دلالة على أنّ المتكلم (الله) يذكر المتلقي (المسلمون) بأنّهم قد عصوا أوامر الرسول ولم يصبروا، لذلك استعمل المتكلم أداة النفي ليمكنهم من الاقرار بعظمة الله ونصره لهم.

الفعل التأثيري: تأثير فعل التذكير والحث والتقرير في المتلقي من خلال صبره على الجهاد ومصاعبه والثقة في الله وأنّه سينصرهم وأخذ العبرة من الحوادث السابقة.

يقول **الشّيخ اطفيّش** في تفسيره لهذه الآية: «﴿**أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ** ﴾ يعينكم ويقال في الزّيادة مدّه هذا وقيل: أمدّه في الخير ومدّه في الشّر والإمداد والمد إعطاء الشّيء حالا بعد حال، [...]،﴿**رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ** ﴾ من السّماء الثّالثة، الاستفهام توبيخ أو تقرير، وكان النّفي بـ(لن) لأنّها أبلغ وهي للتّأييد، أظهر ما فيهم من شبه الإيّاس من النّصر، [...] وقتلهم بالنّسبة لعدوّهم وفي وصفهم بالإنزال تعظيم»[1]نجد أنّ الشّيخ بيّن موقع الاستفهام وصرّح بغرضه الضمني، وهو توبيخ وتقرير وتعظيم، وهذه الأغراض تعرف في الأفعال الكلامي بالفعل الكلامي غير مباشر وعليه نقول إنّ الاستفهام في هذه الآية قد خرج عن أصل وضعه لأغراض أخرى هي التّوبيخ أو تقرير، فنجد أنّ الشّيخ لم يقتصر على غرض واحد بل بيّن أنّ الأغراض تختلف باختلاف السّياق، إلى أغراض أخرى هي التّعظيم، وفيه توبيخ على تقصيرهم في الجهاد في غزوة أحد وتعظيم لقدرة الله في خلقه، وقد أشار الشّيخ إلى: (كان النّفي (لن) لأنّها أبلغ) في هذا القول إشارة إلى القوة الإنجازية أي تعديل وزيادة القوة الإنجازية للتّوبيخ والتّعظيم. وعليه نقول أنّ الشّيخ اطفيّش توصّل إلى ما يعرف في التّداولية الفعل الكلامي غير مباشر وتدعيم القوة الإنجازية.

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 450

3) قال الله تعالى: ﴿وَالذِين إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَّغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: 135].

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في الآية استفهام: ﴿وَمَنْ يَّغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلاَّ ٱللَّهُ﴾

الفعل الإنجازي: الفعل الكلامي أدّى إلى فعلين كلاميين حرفي ومستلزم مقاميا:

﴿وَمَنْ يَّغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلاَّ ٱللَّهُ﴾

- الفعل الإنجازي الحرفي المباشر: **الاستفهام، الإخبار**.
- الفعل الإنجازي المستلزم مقاميا غير مباشر: **النّفي، التنبيه، التّأكيد والوعد**.

الاستفهام بـ{من} هو عبارة عن فعل كلامي أدّى إلى إنجاز فعل مباشر وهو الاستفهام والذّي قصد به المتكلّم في معناه الحرفي الإخبار أنّ الله يغفر الذّنوب لمن تاب، بالنّظر إلى السياق نجد أنّ الاستفهام قد أدّى إلى إنجاز فعل مستلزم مقاميا وهو **النّفي** حيث الاستفهام يستلزم النّفي﴿وَمَنْ يَّغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلاَّ ٱللَّهُ﴾ وهذا هو نوع من الاستفهام يكون فيه ما بعد أداة (إلاّ) منفي، قصد المتكلّم من خطابه هو نفي ما ادّعاه المشركون وهو أنّ الذّنوب يغفرها الأصنام، وهذا النّفي هو بمثابة تأكيد على أنّه لا يغفر الذّنوب إلاّ الله وما دلّ على هذا التأكيد القرينة (إلاّ الله)، إنّ الفعل الإنجازي المستلزم مقاميا وهو النّفي أدّى إلى فعل كلامي غير مباشر دلّ عليه سياق الآية وهو **التّنبيه**، أي تنبيه موجّه للذّين عصوا الله وفعلوا فاحشة بأنّه لا يغفر الذّنوب إلاّ الله وأنّهم بإمكانهم أن يطلبوا المغفرة وغفران الذّنوب من الله تعالى، بالإضافة إلى فعل كلامي مستلزم مقاميا دلّ عليه سياق الآية هو **التّأكيد والوعد**، فالاستفهام إذا ربطناه بما قبله وبالسّياق فنجد أنّ ما قبل الاستفهام هو عبارة عن دعوة للذّين فعلوا الفاحشة إلى الاستغفار وأنّ الله يغفر لهم ذنوبهم، وجاء الاستفهام ليؤكّد أنّ غفران الذّنوب أمر واقع وهو من عند الله، بالإضافة إلى إنجاز فعل الوعد أي وعد موجّه للمتلقّي وهو فاعل الفاحشة أو العاصي على أنّ الله يستغفر له ذنوبه وأنّه لا يغفر الذّنوب إلاّ الله، الاستفهام أدّى إلى

فعل كلامي مستلزم مقاميا وهو النّفي وهو بدوره أدّى إلى أفعال كلامية غير مباشرة هي التّنبيه والتأكيد والوعد، وما دعّم القوة الإنجازية قوله تعالى: (إلاّ) فهي مؤشّر دعّمت القوة الإنجازية للنّفي.

الفعل التّأثيري: إدراك المتلقي أنّ الله يغفر الذّنوب وما على المذنب إلاّ أن يندم على ذنبه ويستغفر الله، ويترك الإصرار على الذّنب لكي يغفر الله ذنبه، فتأكيد الله على أنّه يغفر الذّنوب للتّأثير في المتلقّي، حيث كل مذنب يقرأ الآية ستتأثّر نفسيته فيطلب المغفرة من الله.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية: «﴿**وَمَنْ يَّغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ**﴾ الاستفهام نفي ﴿**إِلاَّ ٱللَّهُ**﴾ بدل من ضمير يغفر والجملة المعترضة ﴿**وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ**﴾ من الفواحش وظلم النفس بل أقلعوا ثم إن عادوا وأقلعوا وهكذا ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ أن ما فعلوه معصية أي لم يصروا عالمين أنه معصيته وهذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لم يصله خبر المعصية وأما بعد فلا عذر»[1] نجد أن الشيخ في تفسيره للآية قد بين أن الاستفهام خرج عن أصل وضعه ليؤدي غرضا هو النفي وهو في الأفعال الكلامية يعرف بالفعل الكلامي غير مباشر، كما نجد أن الشيخ بين أن الاستفهام جاء ليؤدي حكما شرعيا وهذا في تفسيره لهذه الآية حيث قال: «يجوز أن تكون الآية تعريضا لقوم أصروا وهم يعلمون، فلا تفيد أنه من أصر بلا علم معذور فإن هّا لا يوجد بعد تمام الدين وانقطاع الوحي فيما يدرك بالعلم ولو كان قد يسهل له إذا لم يكن جهله عن تقصير في طلب العلم به أو يقدر (وهم يعلمون أن الله يتوب على من تاب) أو يعلمون المؤاخذة به وعفو الله»[2] وعليه نقول إنّ الشيخ أطفيّش بيّن أنّ الاستفهام في الآية جاء ليؤدي ويبيّن حكما شرعيا في التوبة وهو الفعل التأثير، وعليه نقول إنّ للشيخ بعدا تداوليا في الأفعال الكلامية .

4) قال الله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾**﴾ [آل عمران: 137]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي): ﴿**كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ**﴾

[1] – قطب الأيمة الشّيخ الحاج امحمّد اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:10

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص: 10

الفعل الإنجازي: الاستفهام في هذه الآية قد أدّى إلى إنجاز فعل مباشر وغير مباشر:

﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾

الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام**.

الفعل الإنجازي غير مباشر: **تهديد، التنبيه، الترهيب، الوعيد**.

الاستفهام ب{كيف} أدّى إلى أفعال كلامية مباشرة وغير مباشرة، نظرا لسياق الآية فالفعل الكلامي هو توجيه خطاب للمؤمنين وللكفّار، وإخبارهم أنّ الله يعاقب كل من كفر به وبآياته وأعرض عنها، بالإضافة إلى تأدية الاستفهام أفعال كلامية غير مباشرة دلّ عليها السيّاق وقد تنوّعت منها (**تنبيه**) تنبيه المسلمين عن الضلال وأنّه سيظهر الحق ونبّههم على أنّ الله يمهل ولا يهمل، وأن يعتبروا من الأمم السّابقة وكيف كانت عاقبتهم حيث أهلكهم من جرّاء طغيانهم وعصيانهم وتنبيه على أنّ الله يظهر الحق ويعاقب كلّ كذّاب فيخاطب المسلمين ويقول فانظروا كيف كان عاقبة الكاذبين، وما دعّم القوة الإنجازية للتنبيه قوله تعالى: «فانظروا» حيث زاد من قوة التنبيه الموجّه إلى المسلمين، بالإضافة إلى فعل آخر غير مباشر وهو (**التّهديد**) أي تهديد الكفّار والمكذّبين لما سيلقونه عند ربّهم وأنّهم سيلقون جزاءهم من الله كما تلقته أمم سابقة لهم فجاء تهديد الله تأثيرا في نفوسهم ووعيدا لهم، وهذا أدّى إلى إنجاز فعل مستلزم مقاميا وهو (**الوعيد**) فإنّ الله هو المتكلّم يخاطب الكفار بأنّه أعدّ لهم عذاب أليم وأنّ عاقبة المكذّبين هي وعيدهم يوم القيامة فالخطاب موجّه للمؤمنين ولكن الله قصد به الكفّار والمكذّبين وأنّ وعيدهم يوم القيامة العذاب والهلاك، بالإضافة إلى إنجاز فعل مستلزم مقاميا وهو (**التّرهيب**) وهذّا الفعل قصد به المتكلم التّأثير في المتلقّي في المسلمين عامة لتثبيتهم على الدّين وصبرهم في الجهاد وأمور الدّين وتأدية الفرائض، والصّبر في طاعة الله وعدم الكفر وترهيبهم بأنّ الله مهلك للكذّابين والكفّار.

الفعل التأثيري: نظرا إلى نوعية الخطاب والأفعال المستلزمة مقاميا، نجد أنّ المتكلّم أثّر في المتلقّي بخطابه الذّي وجهه إليه وهو فعل تّنبيه النّفس الإنسانية المؤمنة بأنّ الله سينصرها وما عليها إلاّ الصبر والإيمان والثّقة بالله تعالى وعدم الكفر وأنّ الله بصير بالعباد وسيهلك القوم الظالمين، وتثبيت النّفس

الإنسانية في الإيمان بالله، بالإضافة إلى التأثير في النفوس البشرية التّي طغت حيث عند سماعها لهذه الآية فإنّها سوف تخاف وتحتسب ولا تعصي الله خوفا من هلاكها كالأمم السّابقة لأنّ وعد الله حق.

يقول **الشيخ أطفيّش** في تفسيره للآية «[...] وذلك للمؤمنين زيادة تثبيت ﴿**فَانظُرُوا**﴾ بإبصاركم وقلوبكم، ﴿**كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ**﴾ لرسلهم من الإهلاك آخر الأمر بعد إمهال»[1] نجد أنّ **الشيخ أطفيّش** في تفسيره لهذه الآية اعتبر أنّ الاستفهام لم يخرج عن معناه الحقيقي وبقي في اصله وهو السؤال عن عاقبة المكذّبين، ولكن نجد أنّ الشيخ لم يفصل في هذا الاستفهام وأشار إلى أنّه جاء لزيادة تثبيت المؤمنين ولكنه لمح في معنى تفسيره للآية أنّ الاستفهام جاء لغرض الاخبار ولكننا لا نجد تصريحًا مباشرًا لهذا الغرض، وعليه نقول إنّ الفعل الكلامي المباشر هو الاستفهام والاخبار وهذا نظرا لتفسير الشيخ.

5) قال الله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾**﴾ [آل عمران: 142]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في الآية استفهام: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾

الفعل الإنجازي: لدينا فعل كلامي مباشر وهو الاستفهام وقد أدّى إلى فعل كلامي غير مباشر وهو:

﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **استفهام والإخبار**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار، النّهي، التنبيه**.

الاستفهام بـ{أم} أدّى إلى إنجاز فعل كلامي مباشر هو **الاستفهام وإخبار** المسلمين أنّ دخول الجنة والفوز بها وبرضاء الله يكون بالصّبر في الحياة وفي الجهاد، ونظرا لقصد المتكلّم وسياق الآية فإنّ

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:13

الاستفهام قد أدّى إلى إنجاز فعل كلامي مستلزم مقاميا وهو (**الإنكار**) إنكار الله عزّ وجل دخول الجنّة للذين لم يجاهدوا ويصبروا في أمور دينهم، بالإضافة إلى إنجاز فعل كلامي مستلزم مقاميا هو (**النّهي**) حيث نهى الله المسلمين من الاستسلام وأنّه لا يدخل الجنّة إلا من صبر في الدّنيا فهي دار ابتلاءات وامتحانات وما على المسلم إلاّ الصّبر والجهاد في سبيل الله وإرضائه، بالإضافة إلى انجاز فعل غير مباشر هو **تنبيه** المسلمين على أنّه لا يدخل الجنة إلاّ من صبر في طاعة الله، وما عدّل القوة الإنجازية للنهي ودعّمها قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ**﴾ وهذا زاد من قوة النّهي ودعّمها، وبيّن أنّ الأموال لا تأتي بالسّهولة وغرض المتكلّم هو التّأثير في المخاطب.

الفعل التّأثيري: المتكلّم قصد من إنجازه للأفعال غير مباشرة (الإنكار والنّهي والتنبيه) التّأثير في المتلقّي وفي نفسيته، لكي يدرك المسلم أنّ الله لن يُدخل الجنّة إلاّ من عمل صالحا وصبر وجاهد في سبيل الله، ونظرا لمقام الآية وسياق نزولها فإنّها موجّهة للمسلمين في غزوة أحد أثناء انهزامهم، فنزل خطاب الله حيث أثّر فيهم وزرع روح التّحدّي والجهاد في نفوسهم والصّبر على الكافرين وخداعهم، والصّبر على الجهاد وصعوبته وتقبّلهم الهزيمة، لأنّ الله سيعاقب الكفّار.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسير للآية «﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ**﴾ بل أظننتم؟ أو بل ظننتم، أو أظننتم والخطاب لمن انهزم من المؤمنين يوم أحد، ﴿**أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ**﴾ إنكار للياقة أن يدخل المنهزمون يوم أحد من المسلمين الجنّة، والحال أنّهم لم يجمعوا بين الجهاد والصبر على شدائده، فيعلم الله جمعهم»[1] نجد أنّه بيّن أنّ الخطاب موجّه للمنهزمين يوم أحد، أي بيّن المتلقي ونوع الخطاب، هذا في صميم البحث التداولي، بالإضافة إلى تحديده لغرض الاستفهام وهو الإنكار وهذا بمثابة الفعل الإنجازي غير مباشر، وهو انجاز فعل الإنكار من الله على أن يدخل الجنّة الذين لم يصبروا في الجهاد، كما أنّ الشيخ يبيّن أنّ فعل الإنكار جاء ليؤدي حكما شرعيا هو في قول الشيخ: «والآية تدخل على أنّ الجهاد فرض

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:13

كفاية»[1] وعليه نقول إنّ **الشيخ أطفيّش** بيّن أنّ الاستفهام جاء لتوجيه الأحكام شرعية، ويعرف في التداولية وفي الأفعال الكلامية بالتوجيهيات.

6) قال الله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَنْ يَّنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾**﴾[آل عمران: 144].

الفعل الكلامي(الفعل اللغوي) هو استفهام:﴿**أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ**﴾

الفعل الإنجازي: الاستفهام في الآية قد أدّى إلى أفعال كلامية مباشرة وغير مباشرة وهي كالتّالي:

﴿**أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ**﴾

- الفعل الكلامي المباشر: **الاستفهام**.
- الفعل الكلامي غير مباشر: **التنبيه، الإنكار والتّحذير**.

الاستفهام بالهمزة {أ} أدّى إلى إنجاز أفعال كلامية مباشرة وأفعال كلامية غير مباشرة مستلزمه مقاميا، الفعل الكلامي المباشر هو **الاستفهام والإخبار** على أنّ الرّسول سيأتي أجله ويموت أو يقتل مثل باقي الرّسل، ونظرا لسياق الاستفهام والآية فإنّه قد أدّى إلى أفعال كلامية غير مباشرة (**الإنكار**) إنكار الله تعالى من المسلمين في غزوة أحد عندما انهزموا حيث سمعوا أنّ رسول الله قد قتل فولّوا على أعقابهم، فجاء إنكار شديد من الله تعالى على ذلك التّصرّف وبيّن من خلاله أنّ محمّد هو بشر ورسول كسائر الرّسل وسيموت وقد جاء بالدّعوة وما على المسلمين إلاّ أن يتّبعوه ويتّبعوا دعوته خالصة لله وحده لا شريك له، وأنّهم في جهاد وهدفهم نصرة الإسلام ودفع الأعداء، بالإضافة إلى فعل آخر قصده المتكلّم وهو فعل متضمّن في القول وهو فعل (**التّحذير**) تحذير المسلمين من الانقلاب والتّولّي وأنّ موت الرّسول حقّ وأمر لابدّ منه لأنّه سنّة الحياة وهم يتّبعون دعوته والدّين الذي جاء به ويجاهدون في سبيل الله وتحذيرهم من الانهزام في الغزوة سواءًا مات الرّسول أم قتل، فهم سيجاهدوا ويقاتلوا الكفّار في سبيل الدين وفي سبيل الله، بالإضافة إلى تأدية فعل (**التّنبيه**) وهو تنبيه

[1] – المصدر نفسه، ج3، ص:21

المسلمين من أنّ عبادتهم هي لله وحده لا شريك له، فإن مات الرّسول فلا تنقطع دعوتهم وعبادتهم، بالإضافة إلى تنبيههم على أنّ الرّسول محمّد سيموت وما عليهم إلا بالصّبر، حيث جاءت حادثة غزوة أحد وهي ادّعاء أنّ الرّسول مات، لتحذيرهم من قبول هذه الواقعة، فجاءت هذه الدّعوة لتحضيرهم نفسيا لقبول هذه الواقعة، وما دعّم القوة الإنجازية للإنكار والتّحذير وزاد منها قوله: ﴿**ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ**﴾ زاد من قوّة الإنكار والتّحذير من الكفر والارتداد، وما دعّم قوة التّنبيه وزاد منها قوله: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ**﴾.

الفعل التّأثيري: إنّ التّأثير في المتلقّي هو من خلال إشعاره بقوة الجهاد والصّبر عند الشّدائد، وأنّ حب الرّسول هو بإتمام الدّعوة ومحاربة المشركين والثّبات على الدّين حتى بعد وفاته، وكذلك التحضير النّفسي للمسلمين لتقبّل سماع وفاة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فاختبرهم بتلك الحادثة في غزوة أحد، وتنبيه النّاس والتّأثير فيهم بأنّ الرّسول بشر.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية: «﴿**أَفَإِيْن مَّاتَ**﴾ بلا قتل، ﴿**أَوْ قُتِلَ**﴾ كسائر الناس الرسل وغيرهم، ﴿**ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ**﴾رجعتم إلى الكفر بعد إذ خلّفتموه، توهموا أنّه نبيء لا يموت وأنّه إن مات لم يجب البقاء على دينه، والتقدير: (أتضعفون أو أتومنون به في حياته فإن مات او فان مّات؟)، والأولى ان معنى الانقلاب نقص الدين بزواله كله إلى الشرك كما وقع من بعض او بضعفه، او بإظهار المنافقون الشرك، أو بفعل ما يشبه الكفر من الانكشاف عنه صلى الله عليه وسلم و الفشل، ويجوز أن يكون المرد النهي عن الردة لمن لم تقع منه»[1]نجد أن الشيخ في تفسيره للآية قد بين غرض الاستفهام وهو النهي، أي النهي عن الردة و النهي عن الانقلاب في الدين توهما منهم أن الدين يزول بموت الرسول صلى الله عليه وسلم، وعليه نقول إنّ الشيخ اطفيش بين الفعل الكلامي غير مباشر للاستفهام هو النهي، أي إنّ الاستفهام جاء لغرض النهي لذلك نقول إنّ فيه إشارة إلى الفعل الكلامي وإنّ للشيخ بعدا تداولياً.

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:23

7) قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾[آل عمران: 154].

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) هو استفهام: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾

الفعل الإنجازي:

﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام والإخبار**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار والنّفي والاتهام**.

الاستفهام بـ{**هل**} أدّى إلى فعل كلامي مباشر أنجز فعل **إخبار** حيث المتكلّم قصد به الإخبار في معناه السّطحي الحرفي على أنّ المنافقين ليس لهم أمر في هزيمتهم وذهابهم للجهاد، ولكن نظرا لسياق الآية والمقام الذّي ورد فيه ذلك الاستفهام فنجد أنّه قد أدّى فعلا كلاميا غير مباشر (**الإنكار**) إنكار المنافقين في غزوة أحد من أنّ الأمر بأيديهم وأنّهم سبب الخسارة والهزيمة وأنّه لو كانت المشورة لهم لما خرجوا إلى القتال و**نفيهم** بأنّ الأمر بأيديهم، وأنّهم ليسوا السبب في الخروج إلى مقابلة العدو، بالإضافة إلى فعل آخر وهو فعل (**الاتّهام**) حيث يتهم المنافقون الرّسول بأنّه ليس رسول الله وقد أخطأ في خروجه إلى القتال، وكل هذه الاتّهامات كانت تختلج في نفوس المنافقين فهم لم يفصحوا بها، ولكن من إعجاز الخطاب القرآن بيّن للرّسول صلّى الله عليه وسلّم أنّ المنافقين يخفون في صدورهم ما لا يعلمه، وسبب إظهار القرآن الكريم للمعاني الضمنية والخفية للمنافقين هو عدم علم الرّسول بها، لأنّ جوابه على سؤال المنافقين كان جوابا على المعنى السّطحي والحرفي من سؤالهم، فالرّسول صلّى الله عليه وسلّم لم يكن لديه افتراض مسبّقا على ما سيقولونه فجاء جوابه إنّ الأمر من عند الله فهذه الآية تبيّن مكر المنافقين وتبيّن أنّ الموت من عند الله وأنّ أجل الله واقع وكلّ إنسان سيموت كما كتب الله له، فحدث إخلال في مبدأ الملاءمة فالإجابة لم تكن تناسب السؤال، فالمنافقون ادعوا عدم معرفة الرّسول وخطئه فنجد المتكلّم أي المنافقون قصدوا من إنكارهم و**نفيهم**

التّعبير عن مشاعرهم وهي الخوف والقلق الذّي سكن في قلوبهم، وعدم ثقتهم بالله والرّسول، ما دعّم فعل **الاتهام** وزاد من قوته الإنجازية قوله تعالى: ﴿**يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَآ يُبْدُونَ**﴾ يتهمون الرّسول بأنّه دفعهم إلى الخروج للجهاد.

نجد أنّ **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية صرّح بتنوع أغراض الاستفهام، وأنّه قد خرج إلى العديد من المعاني وهي في التداولية والأفعال الكلامية تعرف بالفعل الإنجازي غير مباشر يقول **الشيخ أطفيش** في هذا: «﴿**هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ**﴾ الذي وعد الله رسوله من الظفر والنصر، استفهام انكار أو تقرير أو تعجب، أو لما كثر القتل في الخزرج قال ابن أبيٍّ: (مالي أمر مطاع، لو أطاعني محمّد ولم يخرج، لم يكن هذا القتل) فالأمر شأن الشورى فالاستفهام للنفي فزيدت (من)، والجملة تفسير ليظنّون، ﴿**مِن شَيۡءٖ**﴾ أي نصيب»[1]وعليه نقول إنّ الشيخ صرّح بوجود الفعل الانجازي غير مباشر وهو الانكار والتقرير والتّعجب، ثم أكد بقوله: (فالاستفهام للنفي) أي النفي هو الفعل الكلامي غير مباشر الكلي، وهذا بنفي (أن يكون الأمر في أيدي المنافقين) أي (ليس الأمر بأيدينا)، أما عن قوله: (استفهام انكار أو تقرير أو تعجب) فنجد أنها أفعال كلامية جزئية غير مباشرة، وعليه نقول إنّ للشيخ أبعاداً تداولية وتصريح واضح للأغراض الضمنية للاستفهام، أمّا عن قوله: {فالاستفهام للنفي فزيدت(من)} نجد فيه إشارة إلى أنّ (من) هي التي زادت من القوة الانجازية للنفي.

8) قال الله تعالى: ﴿**إِنْ يَّنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِنْ يَّخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١٦٠**﴾[آل عمران: 160].

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في الآية:﴿ **فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ**﴾.

الفعل الإنجازي في الآية:

﴿ **فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ**﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام والإخبار**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار، النّفي والتّحذير**.

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:42

الاستفهام بـ{**من**} أدّى إلى إنجاز فعل كلامي مباشر هو الاستفهام عن من ذا الذّي ينصر المؤمنين من بعد الله، نظرا لسياق الآية وقصد المتكلّم فنجد أنّه لم يقصد من سؤاله الاستفهام أي طلب الفهم بل قصد معنًا مستلزم مقاميا أي فعل كلامي غير مباشر وهو (**الإنكار**) أي إنكار الله تعالى أنّه لا ينصر المؤمنين إلاّ الله والذّي أدّى إلى النّفي، فالاستفهام في الآية غرضه **النّفي** حيث أدّى إلى إنجاز فعل **النّفي** وهو (لن ينصركم من بعده إلاّ الله) أي لا معين لكم في هذه الدّنيا إلاّ الله، فالله سبحانه وتعالى وجّه سؤاله للمتلقّي لإنجاز فعل (**التّحذير**) أي تحذير المسلمين من الانهزام النّفسي وتقبّلهم لوساوس الشّيطان، والتّخلّي عن الله سبحانه وتعالى، وتحذيرهم من أنّه لا ناصر لهم إلاّ الله فلا معين في هذه الدّنيا إلاّ الله فليتوكّل المؤمنون، والمؤمن الحقيقي هو من يرضى بقضاء الله ، فالله حكمة في خلقه، وما دعّم القوة الإنجازية وزاد من قوة النّفي والإنكار قوله: (**مَنْ**)

الفعل التّأثيري: التّأثير في المتلقّي من خلال النّفي والتّحذير بحيث يحذرهم الله من الانهزام والاتّكال على الغير وترك الله، وطمأنة المسلمين على الهزيمة التّي تلقّوها في غزوة أحد.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية: «﴿ **فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ**﴾ من بعد الله، أو من بعد الخذلان، وهذا تحريض على الطاعة المقتضية للنصر، وتحذير من المعصية المقتضية للخذلان، والاستفهام لنفي الناصر، وهو بصورة الاستفهام إذ كان بصورة الحجة أبلغ من النفي الصريح»[1]نجد أنّ الشيخ في تفسيره صرّح بأغراض الاستفهام حيث تعرف في التداولية بالأفعال الكلامية غير مباشرة الضمنية، وهي التحريض، والتحذير، ولكن نجد أنّ الشيخ قام بتخصيص غرض للاستفهام في قوله: (والاستفهام لنفي الناصر)، وعليه نقول إنّ النفي هو الفعل الكلامي الضمني غير مباشر وهو الفعل الكلامي الكلي وقد أكّد الشيخ على ذلك، وعليه نقول إنّ التحريض والتحذير أفعال جزئية ضمنية وعليه نقول إنّ للشيخ بعدا تداوليا.

9) قال الله تعالى: ﴿**أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾**﴾ [آل عمران: 162].

الفعل الكلامي: ﴿**أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ**﴾.

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص: 54-55

الفعل الإنجازي أدّى إلى إنجاز فعل كلامي مباشر وغير مباشر:

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ؟﴾

الفعل الكلامي المباشر: **استفهام والإخبار**.

الفعل الكلامي غير مباشر: **الإنكار، النّفي والوعيد**.

الاستفهام بالهمزة {أ} أدّى إلى إنجاز فعل كلامي مباشر هو **الإخبار**، إخبار المنافقين والذّين انهزموا في غزوة أحد وتركوا الجهاد في غزوة أحد وأخذوا الغنائم أنّ وعد الله حقّ، وأنّ من اتّبع رضوانه ولم يتخلّف عن الجهاد واتّبع القائد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم فإنّ له الجنّة، أمّا من اتّبع هواه ولم يطع رسول الله وافترى عليه بالكذب فإنّ له جهنّم وبيس المصير، بالإضافة إلى أنّ الاستفهام قد أنجز فعلا كلاميا غير مباشر وهو **الإنكار** إنكار المتكلّم وهو الله أنّ من اتّبع رضوانه ليس كمن لم يتّبع وظنّ به وبرسوله السّوء ولم يطع الله فإنّ مثواه جهنّم، والفريقين ليسا بسواء والنّاس درجات، بالإضافة كذلك إلى إنجاز فعل كلامي غير مباشر وهو **النّفي**، أي نفي الله أن يتساوى من اتّبع الله والرّسول وصبر وأطاع وعمل بحكمه مع من لم يتّبع الله والرّسول ولم يصبر وعمل السّوء فإنّ مأواه جهنّم، وفيه إنجاز فعل **الوعيد**، أي وعيد من سخط بالله فإنّ مثواه جهنّم وبيس المصير، وما دعّم القوة الإنجازية للنّفي وزاد من قوّتها قوله تعالى (**كمن**)، أمّا ما دعّم القوة الإنجازية للوعيد قوله تعالى:﴿**وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ؟**﴾.

الفعل التّأثيري: التأثير في نفوس المسلمين والمنافقين والعاصين لله وتخويفهم فالعاصي عند سماعه لهذه الآية سيتأثّر ويحاول أن يقتلع عن ذنبه، وكذلك التأثير في المسلمين لكي يحترسوا من عصيانه عزّ وجل والتّأكيد لهم أنّ من عصا الله فإنّ مأواه جهنّم.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره لهذه الآية: «﴿**أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ**﴾ بطاعته وطاعة رسوله وترك الغلول والفرار والكفر، وثبت له الجنّة أو اتبع موجب رضوان الله أي فـ(أمَنِ اتَّبَع؟)، أو أجعل الله له تمييز بين الضال والمهتدي؟﴿**أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ**﴾ والاستفهام للنفي و(من) موصولة أو

موصوفة،﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ﴾ عقاب على معاصيه وغلوله وفراره وكفره»[1]نجد أنّ الشيخ في أثناء تفسيره للآية بيّن غرض الاستفهام وهو النفي وعليه نقول إنّ الفعل الكلامي المستلزم مقاميا هو النفي، أي أنّ الاستفهام أنجز فعلا كلامياً غير مباشر هو النفي وهذا في صميم البحث التداولي.

10) قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾[آل عمران: 165]

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) هو: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾

الفعل الإنجازي للاستفهام أدّى إلى قوة إنجازيه مباشرة وغير مباشرة هي:

﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾

- الفعل الإجازي المباشر: **استفهام، إخبار والتّوجيه.**
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **تقرير، تنبيه، تذكير.**

الاستفهام بالهمزة {أ} في الآية أدّى إلى فعل كلامي مباشر، حيث المتكلّم قصد من سؤاله إنجاز فعل مباشر هو إخبار المسلمين على أنّ ما أصابهم في غزوة أحد هو مصيبة لقد أصيبوا بمثلها في غزوة بدر وهي الهزيمة، ونظرا لسياق الآية والمقام الذّي وردت فيه فإنّ المتكلّم قصد من سؤاله إنجاز فعل كلامي غير مباشر وهو: **التّقرير والتّنبيه والتّذكير**، وهو **إقرار** المتلقّي على أنّ ما أصابه هو مصيبة من عند أنفسهم بسبب عصيانهم لأوامر الرّسول، و**لتنبيه** المسلمين على أنّ ما أصيبوا من مصيبة قد أصيبوا بمثلها في غزوة بدر ففي كلا الحالتين قد عصوا فيها الرّسول، **فذكّرهم** الرّسول في ذلك ليحتسبوا ويتّخذوها كعبرة وأنّ ما من مسلم عصا الله والرّسول فإنّه سيصاب بمصيبة، وما دعّم القوة الإنجازية للتنبيه والتّذكير وزاد من قوّتها قوله تعالى ﴿**قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا**﴾.

الفعل التّأثيري: قصد المتكلّم من سؤاله توجيه خطاب للمتلقّي وهو الإقرار والتّنبيه والتّذكير للتّأثير فيه فالله تعالى وجّه خطابا للمسلمين في غزوة أحد لتنبيههم على أنّ ما أصابهم هو من عند

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:59

أنفسه وتذكيرهم على أنّهم قد أصيبوا بمثله في غزوة بدر، فهنا يتأثّر المسلمون ويدركون لأنّهم قد عصوا ويشعرون بالذّنب ممّا فعلوا في عصيانهم للرّسول والله ولكي يزرع فيهم قوة الصّبر والثّبات.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسير للآية: «﴿**أَوَلَمَّا**﴾ الهمزة مما بعد الواو، والعطف على ما قبل (أو)، العطف على محذوف، أي أتنسون النصر السّابق ببدر ومبدأ احد؟ وترك المركز والإلحاح بالخروج وقد كرهه صلى الله عليه وسلم، ولمّا﴿**أَصَـٰبَتْكُم**﴾ أجيز كون هذه الواو استئنافا»[1] نجد أنّ الشيخ أعطى تقديراً للاستفهام وهو(أتنسون النصر السابق ببدر ومبدأ أحد؟) واعتبر ذلك استفهام حقيقي أي إنّ الفعل الكلامي المباشر الحرفي عند الشيخ هو الاستفهام.

11) قال الله تعالى:﴿**أَوَلَمَّا أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾**﴾ [آل عمران: 165].

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) هو:﴿**قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا**﴾

الفعل الإنجازي : الاستفهام أدّى إلى أفعال كلامية مباشرة وغير مباشرة وهي:

﴿**قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا**﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار و التّعجّب**.

الاستفهام بـ{أنّى} أدّى إلى إنجاز فعل كلامي مباشر هو الاستفهام عن سبب هزيمتهم وهم المسلمون وتقديره (من أين هذه المصيبة؟) ولكن نظرا لسياق الآية نجد أنّها قد أدّت إلى إنجاز فعل كلامي غير مباشر قصد به المتكلّم **الإنكار، والتّعجّب** حيث أنّ المسلمين تعجّبوا لأمر هزيمتهم في غزوة أحد وهم مسلمون وفي جيش المسلمين، كأنّهم كانوا يظنّون أنّهم لن يصابوا بالهزيمة مهما عصوا الله والرّسول لذلك أنكروا وتعجّبوا من أمر هزيمتهم في غزوة بدر وغزوة أحد، وما دعّم القوة الإنجازية

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:64

للتّعجّب والإنكار قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا**﴾ فتكرار هزيمة المسلمين ضد المشركين في جيش الرّسول أدّى إلى تعجّبهم وإنكارهم الشّديد.

الفعل التّأثيري: نجد الاستفهام الموجّه إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم من طرف المسلمين، أدّا لتأثير فيه وتحميله مسؤولية هزيمتهم وخسارتهم إلاّ أنّ المتلقّي وهو الرّسول صلّى الله عليه وسلّم كان تأثّره إيجابيا فأنكر وقال أنّ تلك الهزيمة هي من عند أنفسهم بسبب عصيانهم.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية: «﴿**قُلْتُمْ**﴾ ما قبل(لما)مسلّط على جوابها، أي: أقلتم لمّا أصابتكم. ﴿**أَنَّىٰ**﴾ من أين ﴿**هَـٰذَا**﴾ و قدّر بعض (أنّى أصابنا هذا؟) أي هذا الذي أصابنا من القتل والانهزام، مع أنّا مؤمنون بنصر الله ورسوله، يقوله المنافقون إنكارا لنبوءته صلى الله عليه وسلم، وضعفاء المؤمنين تعجّبا وطلبا لوجه ذلك»[1]وعليه نقول إنّ **الشيخ أطفيش** فسّر وبيّن أغراض الاستفهام وأوّلها، من بين هذه الأغراض الضمنية إنكار المنافقين لنبوءة محمّد صلى الله عليه وسلّم، وتعجّب المؤمنين الضعفاء من ذلك الانهزام، وهذه الأغراض في التداولية تُعرف بالأفعال الكلامية غير مباشرة الضمنية وهي التعبير عن الإنكار والتعجّب.

12) قال الله تعالى: ﴿**قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَـٰتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾**﴾ [آل عمران: 183].

الفعل الكلامي (الفعل اللغوي) في الآية هي الاستفهام: ﴿**فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ**﴾

الفعل الإنجازي: الجملة الاستفهامية أدّت إلى إنجاز فعل كلامي مباشر وغير مباشر

﴿**فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ**﴾

- الفعل الإنجازي المباشر: **الاستفهام**.
- الفعل الإنجازي غير مباشر: **الإنكار، التّعجّب والتّكذيب**.

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:65

الاستفهام بـ{لما} في الآية أدّى إلى إنجاز فعل كلامي مباشر، حيث المتكلّم قصد من سؤاله الاستفهام وطلب الفهم حيث الرّسول يطلب الفهم من اليهود عن سبب قتلهم للأنبياء ما داموا قد أتوا لهم بالمعجزات فهنا يكشف الله عن مكر أهل اليهود، ونظرا لسياق الآية ومقاصد المتكلّم نجد أنّ الاستفهام قد أدّى إلى إنجاز أفعال كلامية غير مباشرة ضمنية وهي **الإنكار والتّعجّب والتّكذيب** فالرّسول عليه السّلام **أنكر** ما قالته اليهود وهو أنّهم لا يؤمنون بنبيء حتّى يأتي لهم بالمعجزات، فالرّسول أنكر **وتعجّب** من أمرهم إذا كانوا يريدون المعجزة فقد جاء بها رُسلٌ قبل محمد فقاتلوهم، هنا تعجب الرسول من طلبهم للمعجزة وقتلهم للأنبياء، حيث تعجّب من أمر اليهود في قتل الأنبياء، **وتكذيبا** لليهود على أنّهم يطلبون المعجزة فالرّسول بقوله فلما قتلتموهم؟ يكذّب اليهود في قولهم أن لا نؤمن لرسول حتّى يأتينا بقربان تأكلها النّار، وما أدّى إلى تدعيم القوة الإنجازية للتّعجّب قوله تعالى: ﴿**قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَٰتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ**﴾.

الفعل التّأثيري: المتكلّم قصد من سؤاله التّأثير في المتلقّي وهم اليهود وتكذيبهم وبيان مكرهم وخداعهم، وكذلك لبيان الحق والباطل للنّاس ليعلموا أنّ اليهود مكرت بالرّسول وأتوا بحجج باطلة.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية: «﴿**فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ**﴾ كزكريا ويحي، والسبعين المقتولين في يوم واحد، ﴿**إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**﴾ في دعواكم أنّ توقفكم عن الإيمان انتظار للبيان، لم تكتفوا بالكفر بهم مع المعجزات حتى قتلتموهم»[1] نجد أنّ الشيخ في تفسيره للآية اعتبر ذلك الاستفهام استفهاما حقيقيا لم يخرج عن أصل وضعه، ففسّره وأوّله وبيّن معناه وغرضه الأصلي وهو طلب الفهم، السؤال عن سبب قتل أهل الكتاب للأنبياء، وهو سؤال موجّه لأهل الكتاب، وعليه نقول إنّ الفعل الكلامي المباشر هو الاستفهام.

وفي الأخير نقول إنّ الاستفهام أنجز أفعال كلامي مباشرة و غير مباشرة تنوعت بين الانكار والنفي والتنبيه والوعد وغيرها، وقد أشار إلى هذا **الشيخ أطفيش** مع وجود بعض الاختلافات، وهذه الأفعال لغرض التأثير في المتلقي بـ:

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:93–94

- ✓ دعوة المسلمين الذين لم يعملوا صالحا والذين عصوا الله وكل مسلم إلى التوبة والندم من الذنوب فإنّ الله يغفر الذنوب لمن تاب وعمل صالحًا.
- ✓ توجيه أحكام شرعية للتوبة وهي أنّ كل مقترف لذنب عليه أن يتوب ويندم على ذنبه ويترك الاصرار عل الذنب ويستغفر الله لكي يغفر له ذنبه فهذه هي عبارة عن شروط التوبة النصوح.
- ✓ دعوة المسلمين إلى الصبر في غزوة أحد واحتساب أمرهم لله، والجهاد في سبيل الله وفي كل أمور الحياة وإنّ الله سيجازي كل نفس صبرت وجاهدت في سبيل الله.
- ✓ اختبار المسلمين في غزوة أحد ليظهر المؤمنين والمنافقين منهم وهذا الأمر ينطبق على الإنسان عامة حيث أنّ الله يختبر النفس البشرية في أمور الحياة لتظهر النفس المؤمنة.
- ✓ إنّ الفوز بالجنة يأتي بالصبر في الحياة وما من إنسان في هذا الكون إلاّ سيختبره الله ليعلم بإيمانه.
- ✓ دعوة المسلمين للاحتساب والاعتبار من نصرهم في غزوة بدر.
- ✓ بيان صدق النبي في عدله قسمة الغنائم والعمل على إصلاح أمته.
- ✓ دعوة المسلمين للوحدة ولم الشمل وعدم التفرقة.
- ✓ تنبيه المسلمين على أنّ كل نفس ذائقة الموت وكل نفس ستموت حتى الأنبياء ستموت.

يعتبر القرآن الكريم من النصوص المقدسة التي جاءت لإقامة الدين والإتيان بحجج تثبت للمسلمين والانسان عامة، فالوظيفة التي يتميز بها القرآن جعلت منه نصاً حجاجيًا وخاصة إذا صاحب هذا الخطاب عملية حوارية سواء في القصص القرآني أو في الخطاب الصادر من الله وموجه إلى عباده والذي يحمل أحكام شرعية وأوامر إلاهية وتنبيهات هي عبارة عن حجج وأدلة، حيث نجد العديد من الاساليب التي وضعت لبيان تلك الحجج، فالاستفهام بكل أنواعه سواء في القصص القرآني أو في غيره مثل الاستفهامات الصادرة من الله إلى عباده نجده جاء لغرض بيان حجة أو إثباتها وهذا بالرجوع إلى السياق والمتكلم والسامع، حيث نجد أنّ البحث التداولي أعطى أهمية كبير لهذه القضية من خلال الحجاج التداولي الذي يعتبر أنّ القوة الحجاجية للاستفهام تستنتج من تأثير تلك القوة في المتلقي، أمّا المفسر للقرآن الكريم فيقوم باستنباط كل تلك الحجج وإثباتها بحجة من عنده سواءًا في الاستفهام الذي هو موضوع دراستنا أو في الأساليب الأخرى، لذلك سأقوم باستخراج كل معاني الاستفهام الدالة على الحجاج التداولي في سورة آل عمران وفي تفسير تيسير التفسير **للشيخ أطفيش.**

المطلب الأول: الحجاج في قصة آل عمران ومريم عليها السلام وإثبات توحيد الله.

في هذا المطلب أستنبط دلالة الاستفهام الدالة على الحجاج في التداولية استنادا إلى رأي الشيخ أطفيش.

1) قال الله تعالى:﴿**قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥**﴾[آل عمران: 15]

الاستفهام التقريري في الآية جاء بقوة إنجازية كبيرة مؤثّرة في الملتقى، ومعزّزة لقوّة التأثير في النّفس الإنسانية، ممّا أدّى إلى حجّة قوية للذّين يتّبعون الشّهوات والكفّار، وهذه الحجّة جاءت قوية تجمع كل الحجج الواردة من قبل الآية، حيث أن الله خاطب الكافرين بحجج كثيرة عن ضلالهم وعدم اتباعهم للمتشابه في القرآن، حيث عرض سلسلة من الحجج من الآية:10 إلى الآية:13، وهذه الحجج جاءت لتنبيه الإنسان من الضلال واتباع الشّهوات وأنّ الله خلق النعيم الدّنيوي والأخروي

ولكن على الإنسان أن يسعى لطاعة الله والنّيل من رضوانه، واتباعه عقيدته وهي عقيدة التوحيد الله والإسلام، وأنّ كل من يعرض عن هذا الدّين فإنّه سيعذّب وينال جزاءه في الآخرة، وهذا ما نجده في الآية التي ذكر فيها العذاب الموجّه للكفّار، وليطمئن النّفس البشرية وبيان أنّ الله عادل في حكمه للنّاس، وبيان أنّ الكفّار على ضلال جاءت الآية ﴿**قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ**﴾ لحجة ضدّ الكفّار، كما أنّها جاءت كحجة كذلك للنّفس البشرية التي تتبع الشهوات الدّنيوية التّي ذكرت في الآية التي سبقتها ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ**﴾ إثبات أنّ زينة الحياة الدنيا وشهواتها زائلة وعلى كل مسلم أن يصبر على هذه الشهوات للفوز برضى الله ونعيم الآخرة، فجاءت الآية: ﴿**أَؤُنَبِّئُكُم**﴾كحجة لكل نفس بشرية تترك عبادة الله وطاعته وتتمتّع بالشّهوات الدّنيوية، فإنّ لله أقام الحجة.

يقول **الشّيخ اطفيّش** في تفسيره عن الاستفهام: «﴿**قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ**﴾ [...] والاستفهام لتحقيق خيرية ما عند الله ذلك»[1] توصّل الشّيخ إلى أنّ للاستفهام قوة حجاجية هي بمثابة تحقيق حجّة الخير الله في عباده، ويوضح هذه الحجّة التّداولية بقوله: «[...] باعتباره أنّ الخير متحقق في مستندات الدّنيا إذا كانت على وجه قصد الدّين »[2]حيث اعتبر أنّ ذلك الخير متحقّق في الدّنيا وهي حجّة تتحقّق إذا توفّر شرط الدّين، نجد أنّ الشّيخ أشار إلى أنّ للاستفهام قوة حجاجية ونتيجة هذه الحجّة وقد أشار إليها في قوله: «والتّقوى اجتناب الكبائر مع الصّغائر، [...] ترك الشّهوات الشّاغلة عن الطّاعة»[3]

[1]– قطب الأيمة الشّيخ الحاج محمّد بن يوسف اطفيش، تيسير التفسير، تح: الشّيخ إبراهيم طلاّي، المطبعة العربية، غردية، دط، (1997م)، ج2، ص: 261

[2]–المصدر نفسه، ج2، ص: 261

[3]–المصدر نفسه، ج2، ص: 262

2) قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ وَمَنِ إِتَّبَعَنِۦ وَقُل لِّلذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنَ أَسْلَمُواْ فَقَدِ إِهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران:20]

هذه الآية هي عبارة عن محاججة أهل الكتاب والمشركين للرّسول صلّى الله عليه وسلّم في دعوته لهم للإسلام وفي أنّ الدّين عند الله هو الإسلام وإتيانهم بحجج باطلة تؤكّد على أنّهم على حق كما زعموا، إنّ للاستفهام الوارد في الآية قوة حجاجية في قول الرسول وهي عبارة عن حجّة قاطعة، على أنّ الدّين عند الله الإسلام، وتنفي حجج أهل الكتاب وتوقفهم من مخاصمة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، لذلك فحجة ﴿ءَأَسْلَمْتُم؟﴾ هي حجّة قاطعة ضد المشركين وأهل الكتاب ووفد نجران كما جاء في سياق الآية ونافية لكل الحجج الباطلة التي جاءت في السّورة وفي سورة أخرى، فالقوة الإنجازية الضمنية لفعل الكلامي كانت بصيغة الأمر والتّوبيخ ضد أهل الكتاب والمحاجّين للرّسول، فقد كان تأثيرها جازما وقاطعا، لأنّ أهل الكتاب الذين يحاجّون النّبي هم على علم بنبوّة محمّد عليه الصّلاة والسّلام وأنّه خاتم الأنبياء وأنّ الدّين هو الإسلام وأنّ الله وحده لا شريك له، ولكن تكابروا، فجاءت حجّة الرسول عليه السّلام قوية في استفهامه لإقناع المتلقي ليسلم وجهه لله وحده لا شريك له، وقاطعة لمجادلة أهل الكتاب للنبي، وما دعم هذه الحجة ودحض كل حجج أهل الكتاب ومجادلتهم قول النبي صلّى الله عليه وسلّم ﴿ءَأَسْلَمْتُم؟﴾ فقد نفتْ كل نوايا أهل الكتاب والمشركين بأمرهم ودعوتهم إلى دين الإسلام.

يقول **الشيخ أطفيش** في تحديده للحجاج من خلال القوة الحجاجية للاستفهام الوارد في الآية: «﴿ءَأَسْلَمْتُم؟﴾، كقوله: ﴿فَهَل أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[المائدة: 91] و﴿فَهَلَ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: 80] أي انتهوا وشكروا إذ جاءكم ما يوجب الإسلام»[1] في هذا القول نجد أنّ **الشيخ أطفيش** أعطى حجة هي أنّ الله قد جاء مخاطباً أهل الكتاب أنّه قد جاء لكم بالحجج والإسلام

[1]- الشّيخ الحاج امحمّد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:272

فهل أسلمتم وشكرتم، وهي حجة ضد أهل الكتاب لدحض حججهم الباطلة، فلا حجّة لمن كفر بالله، وهي حجة دلّ عليها الاستفهام، وهذا في صميم البحث التداولي في الحجاج.

3) قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلذِينَ ٱوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران:23]

الاستفهام الوارد في الآية يحمل معنى التّعجّب والذّي أدّى إلى حجة قاطعة تثبت ضلال أهل الكتاب وإعراضهم عن الدّين الاسلام، و(التّولي) هنا في هذه الآية هو عبارة عن دليل قاطع وحجة تثبت ضلالهم في أنّهم على حق وأنّهم يتّبعون ما جاء في كتاب الله ويتّبعون نبيّهم، (فإعراضهم وتولّيهم) يثبت ضلالهم، ويثبت حجج النّبي صلّى الله عليه وسلّم في أنّ الدّين عند الله هو الإسلام وأنّ الدّين الحق هو الإسلام ويجب عليهم توحيد الله عزّ وجل، أي إثبات ما جاء في الآية:19، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلِاسْلَٰمُ﴾، وما جاء في الآية: 20 ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ وَمَنِ إِتَّبَعَنِۦ وَقُل لِّلذِينَ ٱوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ فالحجّة الواردة على شكل استفهام تثبت ضلال أهل الكتاب (اليهود) وهي عبارة عن دليل يثبت نواياهم السّيئة ضدّ هذا الدّين الحق، كما أنّها تثبت ما ورد قبلها من آيات وحجج وما بعدها، حيث الآية فيها «تعجّب للنّبي صلّى الله عليه وسلّم أو لكل من يأتي منه الرؤية من حال أهل الكتاب وأنّهم إذا عضتهم الحجّة فرّوا إلى الضحة وأعرضوا عن المحجّة. وفيه تقرير لما سبق من أنّ الاختلاف إنّما كان بعد مجيء العلم»[1]كما أنّ سؤال النّبي صلّى الله عليه وسلّم جاء كحجّة قاطعة ضد أهل الكتاب (اليهود)، لأنّهم زعموا أنّهم يحتكمون لكتاب الله ونبيّه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فجاء سؤال النّبي صلّى الله عليه وسلّم ضدّهم لدحض تزاعمهم عليه.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية حيث يبيّن القوة الحجاجية للاستفهام فيقول: «والدعوة إلى التوراة دعوة إلى القرآن لكونه مصدقا له، ومن جملة ما أوتوا من علماه وأحكامها نعوت النبيء صلى الله عليه وسلم وحقيقة الإسلام ودخل صلى الله عليه وسلم مدرسة لليهود فقال له نعيم بن

[1]- محمود الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، دط، دت، ج3، ص: 110

عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت؟ فقال: على دين إبراهيم، فقالا له إن إبراهيم كان يهوديا فقال: هلما إلى التوراة فإنها بيننا وبينكم فأبيا فنزل قوله تعالى: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله»[1] من خلال هذا القول نجد أنّ الشّيخ قام باستعراض حجة هي أنّ القرآن جاء ليكمل الديانات السماوية السابقة ويكمل ما جاء في كتبهم، بالإضافة إلى حجة أخرى بيّنها **الشيخ أطفيش** في تفسيره وهي: «كأنه قيل ما شأن هؤلاء المؤمنين نصيباً من الكتاب فاستأنف جوابا بقوله { يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَاب اللهِ } القرآن كما هو اصطلاح الشرع، وذلك أنهم علموا أنه القرآن ولو أنكروه بألسنتهم، أو هذه الجملة حال، والداعي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أو بعض اليهود راجيا ألا يكون الرجم في القرآن أو كتاب الله التوراة وهو أوفق لقوله: ﴿أوتوا نصيبا من الكتاب﴾»[2] نجد أنّ الشيخ يبيّن حجّة هي إعراض أهل الكتاب عن الحق الذي يشهدون عليه وتعتبر هذه الحجة والتي سبقتها عبارة عن قوة حجاجية للاستفهام لذلك نقول أنّ للشيخ أطفيش بعدًا تداوليًا في الحجاج التداولي.

4) قال تعالى: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ** ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران:25]

الآية تحمل استفهاما يؤدّي فعل التّهديد والتّهويل والتّعظيم والوعيد، وتكمن القوة الحجاجية لهذه الأفعال وهذا الاستفهام في إثبات أنّ الله بصير بالعباد وهو حجّة من الله لليهود على أنّه سيحاسبهم، وبرهان قاطع لليهود أنّ الله سوف يحاسبهم ويجازيهم يوم القيامة بالعذاب جزاء ما يفعلون في الدّنيا وإعراضهم عن الدّين، وطبيعة هذا الاستفهام الذّي يحمل أفعالا لغوية تؤثّر في السّامع مما سيؤدّي به إلى قبول هذه الحجّة وعدم إنكارها.

يقول **الشّيخ أطفيش** في تحديده للحجاج: «حالهم هي حال فظيعة لا يحيط بها إلاّ الواحد القهّار، [...] لقضاء يوم، أو جزاء يوم [...] واضح لا يستحقّ الشّك فيه في وقوع ما فيه، وروي أنّ أوّل راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفّار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤوس الأشهاد ثمّ

[1] – الشّيخ الحاج محمّد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 276-277

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص: 276

يأمر بهم إلى النّار»[1]من خلال هذا القول نجد أنّ الشّيخ قام باستعراض الحجج التّي يؤدّيها ذلك الاستفهام بداية من الحجّة الضّعيفة إلى الحجّة القوية بالتّدرّج واعتبر أنّ القوة التّأثيرية للفعل هي عبارة عن حجّة، وهذا يدخل ضمن الحجاج التّداولي، ونجد أنّ **الشّيخ أطفيش** في آخر تفسيره لتلك الآية أعطى نتيجة لتلك الحجج وهي: «والكبائر محبطة للأعمال فالفاسق خالد في النّار كالمشرك إذ وفي جزاء إصراره المبطل لعمله»[2]فهذه نتيجة للحجج السّابقة، وتعتبر قوة حجاجية للاستفهام.

5) قال تعالى: ﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّآ ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾**﴾[آل عمران: 37]

الاستفهام في الآية أدّى إلى قوة حجاجية تعود على بني إسرائيل أي حجة ضدّهم، تثبت أنّ مريم قد اصطفاها الله على نساء العالمين، بالإضافة إلى حجة أخرى لنبي الله زكريا وهي حجّة من الله عزّ وجل هي أنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب وبيده الرّزق وهو على كلّ شيء قدير، بالإضافة إلى قوة حجاجية تعود على القارئ وهي طلب الرّزق والصبر في هذه الدّنيا، لأنّ الله حدّد أرزاقنا، وأنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب وما على الانسان إلاّ الدعاء وطلب رضوان الله.

يقول **الشّيخ اطفيّش** في تفسيره للآية:«﴿**قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ**﴾ وقد علّقت عليك سبعة أبواب، وكان يغلقها عليها، ولا يدخل عليها غيره،[...] ﴿**قَالَتْ**﴾ وهي في غير أوان النّطق من الصّغر ﴿**هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ**﴾ من جنّته ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾، [...] ويجوز أن يكون ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ...**﴾ من كلام الله تعالى»[3]نجد أنّ الشّيخ بيّن أنّ الاستفهام قد أدّى إلى حجّة تثبت أنّ مريم قد اصطفاها الله على نساء العالمين، وهي حجّة لبني إسرائيل، ويعرف هذا في الحجاج التّداولي بالقوة الحجاجية للفعل اللغوي، بالمقابل نجد أنّ **الشّيخ أطفيش** حاول إثبات هذه

[1]- الشّيخ الحاج محمّد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 279

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 279

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص: 306

الحجّة بدليل فقال: «وروي أنّه صلّى الله عليه وسلّم جاع أياما فطاق على نسائه وفاطمة فلن يجد شيئا، ثمّ أعطاها جارها رغيفين وقطعة لحم، فأرسلت إليه الحسن والحسين فجاء فكشفت عن ذلك فإذا هو أضعاف، فعلمت أنّه من عند الله فقرأت الآية: [حوار زكريا مع مريم] وهذا نصّ من النبي صلّى الله عليه وسلّم على أنّ هذا كرامة لفاطمة، وما في الآية كرامة لمريم رضي الله عنهما»[1] نجد أنّ الشّيخ استدلّ لإثبات حجّته والحجّة التّي أدّها الاستفهام وهي أنّ مريم قد اصطفاها على نساء العالمين فدليل الشّيخ جاء في أنّ لمريم كرامات، بالإضافة إلى أنّ سؤال زكريا وجواب مريم قد أدّى إلى قوة حجاجية وهي التّأثير في زكريا بحيث يقتنع ويتنبّه إلى أنّ الرّزق من عند الله وهو يرزق من يشاء، وقد تطرّق إلى هذا **الشّيخ اطفيّش** ولكن من دون استعمال مصطلح (القوة الحجاجية، والتّأثير) ولكن لها معاني تلك المصطلحات فبدا فيها البعد التّداولي للحجاج واضحا.

6) قال الله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ** ﴿٤٠﴾﴾[آل عمران:40].

الاستفهام في الآية أنجز فعل التّعجّب والاستعظام، حيث أدّى إلى قوة حجاجية هي أنّ الله يرزق من يشاء، في الآية 37 عندما سئل زكريا مريم عن مصدر الرّزق فقالت: (هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب)، فزكريا استغرب من جواب مريم، فجاء تبشيره للولد كحجّة وما يدعم هذه الحجّة هو الاستفهام الوارد وهو سؤال زكريا فهو عبارة عن حجّة قاطعة لليهود على أنّ الله بيده الرّزق وهو على كلّ شيء قدير، كما أنّه عبارة عن حجّة سابقة لما سيحدث لمريم واصطفاها على نساء العالمين وتبشيرها لعيسى عليه السّلام لذلك فإنّ الله أتى لهم بأدلّة سابقة تثبت اصطفاء مريم وقدرة الله عزّ وجل ومعجزة خلق عيسى عليه السّلام.

نجد أنّ **الشّيخ أطفيش** في تفسيره للآية بيّن الحجّة من ذلك الاستفهام فقال: «استبعد بالنّسبة إلى العادة مع إيمانه بقدرة الله على ذلك، واستعظم وتعجّب، أو استفهام حقيقي: (يا رب أتريد وأيّاها إلى الشّباب وتزيل عقمها؟ أم تبقينا على حالنا وتزيل عقمها؟ أو ترزقني الولد من امرأة شابّة؟)، وقيل: استفهم الولد بالتّبنّي أم من الصّلب»[2] نجد أنّ الشّيخ بيّن أنّ الاستفهام قد أدّى إلى

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 306

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص: 313

قوة حجاجية، وهي تعجّب زكريا واستعظامه للأمر مما أدّى إلى عدم إقتناعه بالولد، وأتى بحجّة تبرز عدم إقتناعه و هي الكبر وعقر امرأته، وهذه القوة الحجاجية تدخل ضمن الحجاج التّداولي، فنجد أنّ الشّيخ لم يكتفي فقط بحجّة الكبر وعقر امرأة زكريا، بل أعطى تقديرات لذلك الاستفهام لتبرّر سبب عدم اقتناع زكريا بتبشيره للولد، فجاء جواب الله تعالى ليثبت ويقنع زكريا بالولد في قوله تعالى: (كذلك الله يفعل ما يشاء) وقد وضّح **الشّيخ أطفيش** ذلك فقال: «﴿**قَالَ**﴾جبريل أو الله [...] ﴿**كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ**﴾، أي الأمر كذلك، أي يخلق الله منكما غلاما وأنت شيخ فانٍ وزوجك عجوز عاقر واحتجّ على ذلك بقوله: ﴿**يَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ**﴾ لا يعجزه شيء؛ أو يخلقه منكما وأنتما كذلك بحالكما، أو شأن الله كذلك.»[1]نجد أنّ الشّيخ في تفسيره وبيانه للحجج أعطى لها بعدا تداوليا فركّز على الحجج التّي وردت في الحوار حيث اهتمّ بأطراف الخطاب جبريل والله وزكريا، ثمّ من خلال ذلك أعطى وبيّن موقع الحجة والدّليل، فبقول **الشّيخ أطفيش**: (احتجّ على ذلك) يقصد بها أنّ المتكلّم وهو الله أو جبريل احتجّ بحجّة ليثبت حجج زكريا في استعظامه وتعجّبه من الولد، وهذا في صميم البحث التّداولي في الحجاج التّداولي.

7) قال الله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤**﴾[آل عمران: 44]

الاستفهام أنجز فعلا كلامياً غير مباشر هو التّعجّب والتّحير والاستعظام، حيث أدّى إلى قوة حجاجية هي أنّ الرّسول يتنزّل عليه الوحي، وهذه القوة أدّت إلى حجّة ضد المشركين هي أنّ الرّسول ينزل عليه الوحي، ولا يمكن له أن يعلم بقصّة مريم إلا إذا تنزّلت عليه وحيا من عند الله بالإضافة إلى حجّة أخرى تعود على الحواريين في استعظامهم من شأن مريم.

يقول **الشّيخ اطفيّش**: «﴿**أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ**﴾ يربّي ﴿**مَرۡيَمَ**﴾ ليظهر الذّي يكفل مريم [...] أو يلقون أقلامهم ينظرون أيّهم...إلخ، [...] أو ليعلموا أيّهم يكفل مريم أو لينظروا أيّهم يكفل مريم،

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 313- 314

فهي استفهامية علّق بها النّظر، أو العلم المقدّر »[1]نجد أنّ الشّيخ بيّن موقع الحجّة من الاستفهام، فالاستفهام (أيّهم يكفل مريم) أدّى إلى حجّة هي تطلّع الحواريين لمعرفة الكافل بمريم أو ليعلموا أو لينظروا الكافل لمريم، نجد أنّ الشّيخ بيّن العديد من الحجج هي نتيجة أنّ للاستفهام قوة حجاجية أدّت إلى حجج هي التّطلّع لمعرفة الكافل بمريم، أو للعلم أو للنّظر من سيتكفّل بمريم، وهذا يعرف في التّداولية وفي الحجاج التّداولي بالأفعال اللغوية، فنجد أنّ الشّيخ ربط بين النّتيجة وهي الاستفهام والقوة الحجاجية له بالام.

كما نجد أنّ السّياق والمقام الذّي تواجد فيه الاستفهام قد أدّى إلى حجّة هي أنّ «للقرعة تأثير في تمييز الحقوق»[2]وهذا ما أشار إليه **الشّيخ أطفيش** في الحكم الفقهي وقد اسند بقول جعفر الصّادق، بقول الشّيخ أطفيش: «قال جعفر الصّادق: ما تقارع قوم فوّضوا أمرهم إلى الله سبحانه إلاّ خرج سهم المحق»[3]ونجد أنّ الاستفهام قد أدّى إلى قوة حجاجية أخرى هي إثبات اصطفاء مريم ومكانتها عند اليهود وسادتهم.

8) قال الله تعالى:﴿**قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾**﴾[آل عمران: 47]

الاستفهام الوارد في الآية يحمل أفعالا إنجازيه ضمنية هي التّعجّب والإنكار، حيث أدّى إلى قوة حجاجية تكمن في عظمة الله، وهذه حجّة لبني إسرائيل تبيّن فيه قدرة الله عزّ وجل بعد ما رأوا الحجّة في تبشير زكريا بالولد وهو في سنين كبيرة وامرأته عاقر، جاءت هذه الحجّة وهي تبشير مريم بالولد واصطفاءهما، فسؤال مريم عبارة عن حجّة قاطعة ضدّ اليهود تبيّن لهم قدرة الله وعظمته، بالإضافة إلى قوة حجاجية أخرى وهي أنّ مريم طاهرة وقد اصطفاها الله على نساء العالمين.

نجد أنّ الشّيخ أشار إلى أنّ للاستفهام قوة حجاجية تثبت طهارة مريم واصطفائها على نساء العالمين، يقول **الشّيخ أطفيش**: «﴿**قَالَتْ رَبِّ**﴾ يا رب ﴿**أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي**

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 321

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 322

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص: 322

﴿بَشَرٌ﴾ من الرّجال بزنى ولا بنكاح شرعي، ومن حرّر لبيت المقدس لا يتزوّج ذكرا كان أم أنثى،[...] ﴿وَلَمَ اَكُ بَغِيّاً﴾»[1]وهذه حجج تثبت طهارتها، حيث لم يمسسها بشر من الرّجال بزنى ولا بنكاح شرعي وحجّة أخرى أنّه من حرّر لبيت المقدس لا يتزوّج، نجد في تفسير الشّيخ إشارة إلى الحجاج التّداولي، كما نجد كذلك إشارة إلى قوة حجاجية أخرى للاستفهام، هي حجّة يثبتها سؤال مريم وقد أشار إلى هذا الشّيخ وهي حجّة قدرة الله في خلقه ومعجزاته، حيث يقول الشيخ: «﴿كَذَٰلِكِ﴾ الأمر كذلك، [...] ﴿ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ من خلق حيوان بلا أب كعيسى، أو بلا أب ولا أم كآدم وناقة صالح، ومن ذكر بلا نكاح كحوّاء، ولادة عذراء بلا ذكر أغرب فكان الخلق المُنَبِئ من الاختراع أنسب بها»[2]نجد أنّ **الشّيخ أطفيش** أشار إلى حجّة قدرة الله في خلقه وقد استدلّ ببيان نماذج لخلق الله، لها نفس خواص خلق عيسى عليه السّلام وفي الأخير نقول إنّ الشّيخ تمكّن من الإشارة إلى الحجاج التّداولي.

9) قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢﴾[آل عمران: 52].

الاستفهام الوارد في الآية يحمل قوة حجاجية تثبت فيها اكتمال دعوة عيسى عليه السّلام، وقوة حجاجية موجهة لبني إسرائيل تثبت أنّ عيسى عليه السّلام يناصر الله وحده لا شريك له وأنه نبيء تلك الأمّة في ذلك الوقت، ودليل قاطع على أنّ بنوا إسرائيل كانوا على ظلال فلم يتّبعوا عيسى عليه السّلام إلاّ أقلّية منهم وهم الحواريون.

أشار **الشّيخ أطفيش** إلى أنّ للاستفهام حجّة يؤدّيها حيث يقول: «﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ؟﴾ من الذّين يضيفون أنفسهم إلى الله في نصري، ينصرونني كما ينصرني لله، أو ذاهبا إلى مرتبة من إقامة دين الله، أو موضع أتجرّد فيه لعبادة الله، أو ضامّا نفسي إلى أولياء الله في نصرة دينه

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 327

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص: 327

ومحاربة عدوّه، أو ملتجئا إلى الله معتصما به»[1] نجد أنّ الشّيخ بيّن أنّ للاستفهام قوة حجاجية هي عبارة عن حجج وهي نصرة الله وإقامة دين الله، وعبادة الله، ونصرة الله وأولياءه، ومحاربة عدوّ الله، والاعتصام بالله، وهذه الحجّة نتيجة لسؤال عيسى عليه السّلام، وهذا داخل ضمن الحجاج التّداولي.

وفي الأخير نقول إنّ للاستفهام قوة حجاجية جاءت لتؤدي وظيفة حجاجية تخدم الدّين وموجهة للإنسان عامة وقد أشار إلى هذا **الشيخ أطفيش** وهذه الحجج هي:

- ✓ كل إنسان عمل خيرا ولم يتبع شهوات الدنيا فإنّ الله سيجازيه بنعيم الآخرة.
- ✓ أنّ الله أعدّ للنفس البشرية نعيم في الأخرة أحسن بكثير من النعيم الدنيوي الزائل.
- ✓ اثبات وحدانية الله، وأنّ الدين عند الله هو الاسلام.
- ✓ اثبات حجة هي أنّ كل نفس بشريّة ستحاسب وسيجازيها الله في الآخرة على حسب أعمالها.
- ✓ اثبات كذب أهل الكتاب وافترائهم وضلالهم.
- ✓ إثبات حجة أنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب والايمان بقدرة الله في خلقه.
- ✓ إثبات نبوّة عيسى عليه السلام وإعراض قومه عنه وأنّ النصرة تكون لله.
- ✓ الإتيان بحجة قاطعة ضد اليهود لإثبات عظمة الله وقدرته وإثبات طهارة مريم واصطفائها على نساء العالمين.

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 338

المطلب الثاني: الحجاج في إثبات كفر أهل الكتاب وأن كل الأنبياء مردهم للإسلام.

في هذا المطلب أستنبط دلالة الاستفهام الدالة على الحجاج في التداولية استنادا إلى رأي الشيخ أطفيش.

1) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾[آل عمران: 65]

الآية تتحدّث عن محاججة أهل الكتاب في إبراهيم، حيث أنّهم يحاجّون الرّسول في ملّة إبراهيم وإسلامه، وإتيان الله تعالى بحجّة ودليل قاطع ليبيّن كذبهم وظلالهم، الآية في الأصل تتحدّث عن الحجاج ولكن طريقة استعراضها للحجج كان على المنهج التّداولي، لدينا استفهامين في الآية كلاهما يحمل قوة حجاجية، الاستفهام الأول ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ يحمل قوة إنجازية ضمنية هي إنكار الله لعمل اليهود، حيث أدّى إلى قوة حجاجية مفادها أنّ الله أتى بحجة قاطعة على شكل استفهام إنكاري لإيقاف محاججة أهل الكتاب للرّسول عليه الصّلاة والسّلام وهذه الحجة صاحبها دليل قاطع هو على شكل نفي قاطع لحججهم ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾، وما أدّى لتدعيم الحجة هو قوله تعالى أفلا تعقلون؟ أي خطاب من الله تعالى مخاطبا بها أهل الكتاب ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ؟﴾ إن جئتكم بما أنتم على علم به وتحاجّون بالباطل، فلم الافتراء والكذب؟ فقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ؟﴾ هو عبارة عن نفي لحجج أهل الكتاب وإيقاف المجادلة والمخاصمة مع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في أمر إبراهيم، فتلك الاستفهامات تبطل دعوة أهل الكتاب في أنّهم على دين إبراهيم بحجج قاطعة، وأدلّة نافية موجّهة للمتلقي ممّا ستؤثر فيه فتكون النتيجة قبول الخسارة وتلك الحجج والأدلّة الإلاهية.

نجد أنّ الشيخ بيّن حجة محمّد صلى الله عليه وسلّم حيث يقول **الشيخ أطفيش**: «﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ في دين ابراهيم بزعمكم أنّكم على دينه وتنازعكم عند محمد، فإنهم

تنازعوا في ذلك عنده[...]، فحكم بأنّ الفريقين ليسوا على دينه، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿**وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرِىٰةُ وَٱلإِنجِيلُ إِلاَّ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ**﴾ بزمن طويل، وبعد نزول التوراة حدثت اليهودية وبعد نزول الإنجيل حدثت النصرانية، ولا سيما أنّهم خالفوا التوراة و الإنجيل إلاّ من عصمه الله عزّ وجلّ»[1] نجد أنّ **الشيخ أطفيش** بين الحجج التي هي نتيجة للاستفهام وهي بيان أنّ ابراهيم هو على دين محمد أي دين الاسلام، وحجة أخرى هي أنّ أهل الكتاب اليهود والنصارى هم على ضلال وافتراء، وهذه الحجج هي نتيجة للقوة الحجاجية للاستفهام، بالإضافة إلى قوة حجاجية أخرى هي إثبات أنّ أهل الكتاب يكذبون ويفترون وهذا يدخل ضمن الحجاج التداولي، كما نجد أن الشيخ أعطى أدلة لإثبات تلك الحجج حيث يقول: «وبين ابراهيم وموسى ألف سنة أو سبعمائة، أو خمسمائة وخمسة وستّون، وبين موسى وعيسى ألف سنة فيما قيل؛ وقيل: ألف وتسعمائة وخمسة وعشرون؛ وقيل: ألفان، وقيل: بين ابراهيم وموسى ألفان، وإنّما تتحقق اليهودية بمتابعة التوراة، والنصرانية بمتابعة الإنجيل، فبطلت اليهودية بمخالفة الإنجيل أيضا بعد نزوله، والنصرانية واليهودية بمخالفة القرآن بعد نزوله، ولم يبق إلاّ اليهودية والنصرانية المبطلتان»[2] نجد أنّ **الشيخ أطفيش** استدلّ بدليلين ليثبت حجة أنّ ابراهيم ليس يهودياً ولا نصرانياً وأنه مسلم وعهده قبل اليهودية والنصرانية، وحجة أخرى هي أنّ اليهود والنصارى هم على ضلال وأن التوراة والانجيل كتب جاءت بعد ابراهيم عليه السلام بزمن طويلٍ.

نجد أنّ الشيخ بيّن حجة هي أنّ أهل الكتاب يهملون التّفكر وينكرون أنّ اليهودية والنصرانية هي ديانات جاءت بعد ابراهيم بسنين عديدة وأنهم يقولون ما لا يفعلون وما لا يعتقدون، وهذه قوة حجاجية هي نتيجة لذلك الاستفهام، حيث يقول **الشيخ أطفيش**: «﴿**أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ أتهملون التفكّر فلا تعقلون؟ أو تقولون ذلك فلا تعقلون؟»[3] وهذا يعرف بالحجاج التداولي.

---

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:354

[2]-المصدر نفسه، ج2، ص:354-355

[3]-المصدر نفسه، ج2، ص: 355

2) قال الله تعالى: ﴿**هَآنتُم هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[آل عمران: 66]

تتحدّث هذه الآية عن محاججة أهل الكتاب وافتراءهم، ومجادلة النّبي في أمور لا يعلمونها واتخاذهم حججا وأدلّة باطلة، فقد حاججوه في أمور دينهم وأتو بحجج وأدلّة تثبت أقوالهم من كتبهم التّوراة والإنجيل، ولكن المحاججة الباطلة هي أنّهم حاججوا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في أمر إبراهيم ودينه وهم لم يعاصروه وقد جاء بسنين قبل مجيئهم وكتبهم لم تتحدّث عنه فحاجوا الرّسول وجاءوه بالكذب، فجاء سؤال الله على لسان الرّسول والذّي يحمل قوة حجاجية تثبت كذبهم وبطلان حججهم وادعائهم العلم بكلّ شيء وهم لا يعلمون، فالاستفهام الوارد في الآية أدّى إلى قوة حجاجية، وهي عبارة عن حجة من الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ضد الكفّار لدحض حججهم ولإثبات كذبهم، فجاءت هذه الحجّة لتدل على أنّ أهل الكتاب اليهود والنّصارى كانوا يكذبون ويدّعون العلم بإبراهيم عليه السّلام رغم وجود أدلّة في القرآن تبيّن أنّ إبراهيم جاء قبل اليهودية والنصرانية بسنين عديدة، ولكن هم يقولون أنّه على دين اليهودية والنّصرانية، فكان سؤال الرّسول صلّى الله عليه وسلّم﴿**فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ كحجّة ودليل قاطع يثبت كذبهم ويوقف المجادلة بينهم وبين الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، كما يبيّن نواياهم ضدّ رسول الله بالتّشكيك في صحّة دعوته واحتكاره للنبوة كما يدعون.

بيّن **الشيخ أطفيش** أنّ الاستفهام قد أدى إلى حجة ضد أهل الكتاب الذي يحاجون في ما ليس لهم به علم حيث تثبت نتيجة انكار ذلك الجدال الباطل وهي في قول **الشيخ أطفيش**: «لا يخفى أنّ الجدال الباطل في ما لا علم به أغرب لكونه غير مبني على شيء من الجدال الباطل المبني على حقّ محرّف»[1]وعليه فإنّ الشيخ بيّن أنّ الاستفهام يحمل قوة حجاجيه لإثبات أنّ أهل الكتاب يحاجون ويجادلون بالباطل وفيما لا علم لهم به وأنهم على ضلال وغرور، وهذا النوع من الحجة تدخل ضمن الحجاج التداولي لذلك نقول إنّ **للشيخ أطفيش** بعداً تداولياً في الحجاج، كما أنّه أعطى أدلة

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:355

لإثبات تلك الحجة وهذا في قوله: «لم تجادلون فيما لا علم لكم به من أمر ابراهيم ولم تعاصروه، ولا جاء عنه أثر في كتبكم مشيراً إلى دعواكم» [1].

3) قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠ ﴾ [آل عمران:70]

الفعل الكلامي وهو الاستفهام أنجز فعل ضمني أثّر في المتلقّي، وأدّى إلى قوة حجاجية وهي حجّة الله ضدّ أهل الكتاب تبيين كفرهم وعلمهم بآيات الله وشهادتهم بأنّ محمّد خاتم الأنبياء وجاء الدّين على يده ولكنّهم كذبوا وكفروا بهذه الشّهادة وادّعوا غير ذلك، فجاءت تلك الحجّة كدليل قاطع لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم تبيّن له خداعهم، ومكرهم له ونواياهم ضد دعوته.

بيّن **الشيخ أطفيش** أنّ الاستفهام في الآية هو نتيجة لمجموعة من الحجج وقد بيّنها في تفسيره حيث يقول: «﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾بالآيات التي في التوراة والإنجيل، الشاهدات على نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته، وبالقرآن وبالحجج الدّالة على نبوءته صلى الله عليه وسلم. ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾ تعترفون بأنّ التوراة والانجيل حقٌّ وهما مشتملان على نعت محمّد صلى الله عليه وسلم وكتابه القرآن؛ أو لم تكفرون بالقرآن وأنتم تشهدون حقيته من التوراة و الإنجيل وبمعجزاته صلى الله عليه وسلم؛ أو تشهدون له إذا خلوتم»[2]نجد أنّ الشيخ بيّن أنّ للاستفهام الرسول حجة وهي في التداولية تعرف بالقوة الحجاجية للاستفهام، وهي كفر أهل الكتاب بآيات الله مع علمهم بالحق، فكفرهم جاء عن قناعة ولم يأتي عن جهل وهذا داخل ضمن الحجاج التداولي، ولإثبات هذه النتيجة التي هي القوة الحجاجية للاستفهام نجد أن **الشيخ أطفيش** جاء بمجموعة من الحجج هي: كفر أهل الكتاب بالآيات التي في التوراة والإنجيل، وكفرهم بالشهادة على نبوءة محمد ورسالته، وكفرهم بالقرآن والحجج الدالة على نبوءته، فهذه المجموعة من الحجج لإثبات نتيجة هي كفر أهل الكتاب وشهادتهم بالباطلة.

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 355–356

[2] –المصدر نفسه، ج2، ص: 359

4) قال تعالى:﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١﴾ [آل عمران: 71]

الاستفهام في الآية هو فعل كلامي أدّى إلى إنجاز فعل غير مباشر لغرض التأثير في المتلقي مما أدّى إلى قوة حجاجية هي في تقبّل المتلقي الحجّة الملقاة له وهي عبارة عن دليل قاطع يبيّن مدى مكر أهل الكتاب وإعراضهم عن الحق، وهو عبارة عن دليل ينفي كل ادّعاءات أهل الكتاب وافتراءهم في إبراهيم عليه السّلام، وادّعاءهم للدّين عند موسى عليه السّلام أو عند عيسى، فكل هذه الافتراءات نفيت بقوله: ﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ؟﴾ وما زاد من قوة الحجة والدّليل هو أن جاء الاستفهام بصيغة التّعجّب وكذلك الخطاب الموجّه بضمير [أنتم] والفعل المضارع الذّي أدّى إلى طول مدّة علمهم في الحاضر والمستقبل فهذا الخطاب أدّى إلى دعم القوة الحجاجية ممّا أدّى إلى حجّة قاطعة ضدّ أهل الكتاب، وهي كعبرة للمسلمين عامة لكي يعرفوا خداع أهل الكتاب.

السؤال الصادر من الرسول صلى الله عليه وسلم جاء ليحقق مجموعة من الحجج وليثبت حجة هي بيان نفاق وكفر أهل الكتاب وافترائهم وهذا يعرف في التداولية بالقوة الحجاجية، ونجد **الشيخ أطفيش** قد بينه في تفسيره حيث يقول: «﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾ تخلطون ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ المنزّل ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ الذي تأتون به كذبا، [...]، وذلك بتبديل الباطل مكان الحق، وبالتأويل الزائغ، وبإسقاط ما أنزل، ويكذّبون ويحسنون كذبهم، وبإظهار الإسلام أحيانا للنفاق»[1]نقول إنّ الشيخ قد توصل إلى مجموعة الحجج الحاصلة بالاستفهام وهذه الحجج هي: أهل الكتاب يخلطون الحق المنزّل بالباطل الذي تأتون به كذبا و تبديل الباطل مكان الحق، وتأويل الزائغ، وإسقاط ما انزل، يكذبون ويحسنون كذبهم، إظهار الاسلام مكان الكفر للنفاق، فهذه مجوعة من الحجج سردها الشيخ في تفسيره لبيان القوة الحجاجية للاستفهام وهي إظهار نفاق الكفّار، حيث يقول **الشيخ أطفيش**: «[...] فيتوصلوا إلى غرض، وكما قالوا: ﴿ءَامِنُواْ بِالذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:359-360

ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[آل عمران:72]، فإنهم إذا فعلوا ذلك فقد نافقوا»[1]إن **الشيخ أطفيش** قد بين القوة الحجاجية للاستفهام وهي بيان نفاق الكفار، و هي نتيجة للمجموع الحجج التي ذكرها، ولإثبات هذه الحجج نجده يذكر آية في قوله تعالى: ﴿**ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ**..﴾ فهذه الآية تثبت تلك النتيجة وتفسرها كما قلنا سابقا، أي الشيخ ذكر القوة الحجاجية للاستفهام وهي إظهار نفاق الكفار، وهذا يدخل ضمن الحجاج التداولي إذن نقول إنّ لديه بعدا تداوليا.

5) قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذَآ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾**﴾ [آل عمران: 80]

الفعل الكلامي في الآية وهو الاستفهام أدّى إلى إنجاز فعل غير مباشر، ممّا أثّر في المتلقّي وأقنعه إقناعا تاما وهو أنّ الله لا يأمر عباده بالكفر ولا يرسل الأنبياء والرّسل لكي يدعوا إلى عبادتهم وعبادة الملائكة، وأنّ الله مخصّص لعبادته وحده لا شريك له، والاستفهام أدّى إلى قوة حجاجية هي عبارة عن حجّة ضدّ حجج أهل الكتاب الذّين قالوا أنّ عيسى ابن الله واتخذوا الأنبياء أربابا فجاءت حجّة الله ضدّهم وهو أنّ الله لا يأمر بالكفر بعد إسلامهم أو بعد أن أمرهم بالإسلام.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية: «﴿**أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذَآ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ بعد وقت إسلامكم، الاستفهام توبيخ على كفرهم و ما يبني على قولهم من التهاون بالكفر والتلويح بالبهت به، أو تعجيب للمسلمين»[2]،نجد أن الشيخ بين الغرض من الاستفهام وهو التوبيخ، وهو عبارة عن نتيجة لقوة حجاجية هي التوبيخ على الكفر و التهاون بالكفر والتلويح بالبهت به، وجاء التوبيخ هنا في هذا الموقع لإثبات الحجة السابق في الآية: ﴿**أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا**﴾ أي لليهود والنصارى الذين اتخذوا الملائكة و النبيئين أربابا، فعندما ذكر الشيخ في تفسيره : (والاستفهام توبيخ على كفرهم) يقصد بها توبيخ النصارى واليهود

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:360

[2]-المصدر نفسه، ج2، ص:375

الذين اتخذوا الأنبياء أربابا، فالهاء في كفرهم تعود على اليهود والنصارى حيث يقول: «﴿**أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا**﴾ كما اتخذت الصابئة الملائكة أربابا فيما قيل واليهود عزير أو النصارى المسيح»[1]، لذلك نقول إنّ **للشيخ أطفيش** بعدا تداولي في تفسيره للحجاج حيث اعتبر أغراض الاستفهام عبارة عن قوة حجاجية وهذا يدخل ضمن الحجاج التداولي.

6) قال الله تعالى: ﴿**قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾**﴾ [آل عمران: 81]

الفعل الكلامي أدّى إلى إنجاز فعل غير مباشر وهو التقرير والتّأكيد والتّعهد، فالمتلقّي تأثّر بهذه الأفعال، ممّا أدّى إلى تقبّل الحجّة فالقوة الحجاجية للاستفهام أدّت إلى قطع عهد بين الأنبياء والله سبحانه وتعالى، ممّا أدّت إلى حجّة ضد أهل الكتاب تثبت لهم أنّ الأديان كلّها ترجع إلى الإسلام وكل الأنبياء وما جاءوا به من معجزات وكتب راجع إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، بالإضافة إلى أنّ الاستفهام أدّى حجّة إثبات نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم وأن كل الأنبياء يدعون إلى عبادة الله والإخلاص له فإتّباع ما جاء في كتبهم، وهذه الحجّة ضد أهل الكتاب تنفي ادّعاءهم أنّهم على دين عيسى أو على دين موسى عليه السّلام ادعاءهم أنّهم يتّبعون ما جاء في كتابهم، وهذه الحجّة أقنعت المتلقّي.

نجد أنّ الشيخ بيّن الغرض الذي يؤدّيه ذلك الاستفهام وهو عبارة عن حجة حيث يقول **الشيخ أطفيش**: «﴿**قَالَ**﴾ للنبيئين ﴿**ءَأَقْرَرْتُمْ**﴾ بذلك والاستفهام تقرير، والمراد حمل المخاطب على الاقرار، [...]، ﴿**وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ**﴾ أي الايمان والنصر، ﴿**إِصْرِى**﴾ أي عهدي على أممكم»[2]الحجة هي اقرار الانبياء على الايمان والنصر و عهد الله على الامم، وهذه قوة حجاجية داخلة ضمن الحجاج التداولي، ونتيجة هذه القوة الحجاجية يقول **الشيخ أطفيش**: «قال سعيد بن جبير و الحسن و طاوس: أخذ الله الميثاق على نبيء أن يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء،

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:375

[2] – المصدر نفسه، ج2، ص:378

وينصره بنفسه و قومه، وأن لم يدركه أمر قومه أن يؤمنوا به و ينصروه إن ادركوه»[1]وهذا دليل من الله على أنّ الأنبياء يؤمنون ببعضهم وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وهذه هي نتيجة القوة الحجاجية للاستفهام، حيث نجد أن **الشيخ أطفيش** حاول التفصيل فيها وإثباتها بتقديراته و أقوال بعض العلماء وهذا يدخل ضمن الحجاج التداولي لما فيه من اهتمام بالجانب الحواري في الحجاج.

7) قال الله تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: 83]

الفعل الكلامي وهو الاستفهام أدّى إلى إنجاز أفعال غير مباشرة هي الإنكار والتّعجّب والتوبيخ، وهذه الأفعال أدّت إلى قوّة حجاجية هي أنّ الله قصد من سؤاله توجيه حجة ضد أهل الكتاب وكل من ابتغى غير دين الإسلام، وأنّه لا يمكن لأحد أن يطلب غير دين الله وأنّ كل ما في السّماوات و الأرض أسلموا طوعا وكرها له عزّ وجل، وأنّ الله بيده الحكم وهو قادر على كلّ شيء، وبالإضافة إلى حجّة أخرى موجّة لأهل الكتاب لإيقاف جدالهم مع الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في زعزعة ثقته بالمسلمين، وادّعاءهم أنّ الدّين عند اليهود أو عند النّصارى، فجاء سؤال الله ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ؟**﴾كحجّة قاطعة تنفي كل ادّعاءات أهل الكتاب والمشركين، ما زاد من قوة الحجّة ودعمها قوله تعالى: ﴿ **وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ أي أنّ الله له القوّة والحجّة الكاملة في خلقه.

نجد أن **الشيخ أطفيش** في هذه الآية بيّن القوة الحجاجية للاستفهام، حيث بيّن الحجة من خلال التأثير في المتلقي، فيقول: «[...] أنّ المنكر اتخاذ غير دين الله دينا ولو مع دين الله، ومن عبد الله مع غيره فليس عابدًا لله، لأنّ دين الله لا يجامع دين غيره، فإذا بغوا غير دين و دينه فإنهم لم يبغوا إلاّ غير دينه»[2] الحجة التي أراد إثباتها الرسول في سؤاله هي أنّه لا ينبغي اتخاذ غير دين الله دينا وأن هذا منكر، و هذا لإثبات أن ابتغاء غير دين الله هو من المنكرات، وأنّ الذين تولوا عن دين الله قد

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:378

[2] –المصدر نفسه، ج2، ص:380

ارتكبوا منكرًا، وهذه حجة تعرف في الحجاج التداولي بالقوة الحجاجية، إذن نقول إنّ **الشيخ أطفيش** بيّن واستخرج القوة الحجاجية للاستفهام لهذا نقول إنّ لديه بعداً تداوليًا، كما أنه بيّن النتيجة من تلك القوة الحجاجية وهذا عندما ذكر سبب النزول وذكر نتيجة القوة الحجاجية لقوله تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ يقول **الشيخ أطفيش**: «ادعى أهل الكتابين اليهود والنصارى متخاصمين عنده صلى الله عليه وسلم أنهم على دين ابراهيم، كلّ يدعيه لنفسه وينفي عنه غيره، فقال صلى الله عليه وسلم: (كلكم بريء من دينه)، فغضبوا وقالوا: والله ما نرضى بقضائك؛ ونزل تكذيبا لهم بأنّه لا فريق منهم على دينه قوله عزّ وجلّ: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ ...**﴾ إلى قوله: ﴿**...وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾، ويقبل إسلام من أسلم لنتق الجبل أو للسيف إن أقام عليه»[1]هنا يبين الشيخ أنّ الآية التي فيها استفهام جاءت لدحض حجة أهل الكتاب وتكذيبهم في أنّهم على دين ابراهيم ونفي حججهم الباطلة في أنهم على دين ابراهيم والله، والحجة هي نفي وتكذيب أهل الكتاب في قولهم على أنّهم على دين ابراهيم لذلك نقول إنّ هذا يدخل ضمن الحجاج التداولي.

8) قال الله تعالى: ﴿**كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾**﴾ [آل عمران: 86]

الاستفهام في الآية أدّى إلى إنجاز أفعال كلامية غير مباشرة هي الإنكار والنّفي والاستبعاد، وقد أثّرت في المتلقي ممّا أدّى إلى حجة قاطعة أنّ الله لا يهدي من ارتدّ عن دين الله، والقوة الحجاجيه لهذا الاستفهام جاءت على شكل حجّة قاطعة تبيّن أنّ الله لا يهدي القوم الظالمين وهذه حجّة ضد أهل الكتاب والمشركين حيث كابروا واستكبروا وعبدوا الأصنام واتّخذوا الأنبياء أربابا وجادلوا الرّسول بالباطل في أمور الدّين وآمنوا وشهدوا أنّ محمّد صادق، وأنّ الآيات حق، ولكنهم شكّكوا فيه فكفروا بعد إيمانهم، لذلك جاءت حجّة الله عليهم قاطعة لإيقاف جدالهم وتكابرهم وأخذهم كعبرة لكل من أراد إتباع خطاهم.

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:379.

نجد أنّ **الشيخ أطفيش** في هذه الآية بيّن القوة الحجاجية للاستفهام حيث يقول: «[...] ﴿**قَوْماً**﴾ هم هؤلاء الاثنا عشر المرتدّون، استبعد هدايتهم أو نفاها لانهماكهم في الضلال بالردّة بعد غاية وضوح دين الإسلام»[1] اعتبر **الشيخ أطفيش** أنّ نتيجة القوة الحجاجية للاستفهام هي استبعاد هداية الجماعة الاثنا عشر المرتدّون، ونفي هدايتهم بسبب تماديهم في الضلال بالردّة حتى بعد وضوح دين الاسلام، وبيّن **الشيخ أطفيش** أنّ هذه الحجة هي للجماعة الاثنا عشر المرتدين فقط حيث يقول: «وذلك في الإثنى عشر المذكورين، قضى الله عليهم أن لا يتوبوا إلاّ الحارث بن سويد، وليس كلّ مرتد لا يتوب»[2]وعليه نقول إنّ الشيخ حدد وجهة الحجة وأنّ الاستفهام وجّه للجماعة الاثنا عشر المرتدين فقط، واستثنى الحالات الأخرى وبين أنّ هذه الحجة لا تنطبق على الحالات العامة ونفى هذه الحجة على الحالات الأخرى بقوله: «ليس كلّ مرتد لا يتوب»[3] ثم يستدل ليثبت ذلك فيقول: «ليس كلّ مرتد لا يتوب، فإنّ بعض المرتدين تابوا وأصلحوا، وقد شرط الله عزّ وجل- أي في سورة البقرة- في خذلانهم قوله:﴿**فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ**﴾[البقرة:217] فمن الجائز أن يموت المرتدّ بعد توبته من الردّة، والآية استبعاد لتوبة المرتد لا نفي»[4]نجد أنّ **الشيخ أطفيش** يحدد وجهة الحجة، وكان له تحديد دقيق في الحجة التي يحددها الاستفهام فيقول: «والآية دليل على أنّ الإقرار غير الايمان بل الايمان تصديق بالقلب والاقرار —وهو الشهادة- إخبار باللّسان عمّا في القلب، وقد يشهد ويقرُّ ويوهم أنّ قلبه مواطىء للسانه وليس كذلك، ولا يكفي الاعتقاد عن الإقرار في التوحيد عند الجمهور»[5]نجد أنّ الشيخ يحدد الدليل والقوة الحجاجية للاستفهام وهذا داخل ضمن الحجاج التداولي، وعليه نقول إنّ **للشيخ أطفيش** بعداً تداوليًا في تحديده للحجاج.

---

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:385.

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص:385.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص:385.

[4]- المصدر نفسه، ج2، ص:385.

[5]- المصدر نفسه، ج2، ص:385-386.

9) قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [آل عمران: 98].

الاستفهام في الآية أدّى إلى قوة إنجازيه مستلزمه مقاميا أثّرت في المتلقّي ممّا أدّى إلى قوة حجاجية وهي عبارة عن حجة ضد أهل الكتاب موجّهة إليهم تثبت ضلالهم وادعاءهم الحق وكفرهم، وهي حجّة قاطعة تثبت كذبهم وجدالهم بالباطل، وتبطل كل محاجاتهم للرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

نجد أنّ الآية تحمل حجة موجهة لأهل الكتاب، لذلك نقول إنّ الاستفهام قد أدى إلى قوة حجاجية حيث يقول **الشيخ أطفيش**: «والآية ظاهرة في أهل الشرك ولو احتملت الكفر العام بكفر النفاق، [...] وكان أهل الكتاب ينكرون وجوبه ونزلت الآية ردّاً عليهم كما قال: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم على تحريفكم وسائر أعمالكم، وخصّهم لأنّ كفرهم أقبح إذ معرفتهم بالآيات أقوى ويشاهدون صدقه في كتبهم، فهم كافرون بكتبهم إذ أنكروا ما فيها ولو زعموا أنّهم آمنوا»[1]وعليه نقول إنّ الشيخ بيّن أنّ الاستفهام يحمل حجة فيها ردّ لأهل الكتاب بأنّ الله سيجازيهم على تحريفهم وكفرهم وهذه حجة ضد أهل الكتاب وهي عبارة عن قوة حجاجية داخلة في الحجاج التداولي، بالإضافة إلى حجة أخرى بيّنها الشيخ في تفسيره تثبت القوة الحجاجية للاستفهام وهي شاملة له، حيث أنّ الحجة هي أنّ أهل الكتاب زعموا أنهم آمنوا فالنتيجة هي أنهم كفروا بكتبهم، كما أن الاستفهام يحمل حجة هي إثبات كفر أهل الكتاب وهذا يدخل ضمن الحجاج التداولي.

10) قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: 99]

الاستفهام في الآية هو فعل كلامي يحمل قوة إنجازيه مستلزمه مقاميا أثّرت في المتلقّي، وقد أدّت إلى حجّة تثبت ضلال أهل الكتاب وتضليلهم للمسلمين، كما أنّها حجّة تثبت علمهم بآيات

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:407-408

الله وبصدق دعوة ونبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فجاء خطاب الله بقوله (وأنتم شهداء)، فعلم الله بشهادتهم ينفي حججهم الباطل ضد الدّين.

نجد أنّ **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية بيّن القوة الحجاجية للاستفهام وهذا في معنى تفسيره و الحجة هي أنّ الصدّ وحده مهلك والكفر وحده مهلك وبيّن موقع التأكيد حيث يقول **الشيخ أطفيش**: «﴿**قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ**﴾ كرّره للتأكيد و الإشعار بأنّ الصدّ وحده مهلك كما أنّ الكفر وحده مهلك»[1]وهذا بمثابة الحجاج التداولي، بالإضافة إلى قوة حجاجية أخرى بيّنها **الشيخ أطفيش** من خلال سياق الاستفهام وهي إلقاء الفتنة بين المسلمين لمخالفة الرّسول صلى الله عليه وسلم وصدّ المسلمين عن السبيل الحق، لذلك نقول جاء الاستفهام كحجة ليؤكّد نوايا أهل الكتاب في تضليل أنفسهم والمسلمين حيث يقول **الشّيخ اطفيّش**: «[...] منع مريد الإيمان [عن النّبيء]، [...] وبالبقاء الفتنة بين الأوس والخزرج وبتذكير الحروب السّابقة بينهم في الجاهلية فيرجعوا إليها ويخالفوه صلّى الله عليه وسلّم، [...] وتطلبون السّبيل معوجّة أو ذات عوج، أو يبغون لها عوجا بالتّحريف»[2]فهذه عبارة عن حجج ونتائج جاء الاستفهام ليؤكّدها لذلك نقول أنّ **الشّيخ اطفيّش** قد تمكّن من تفسير الاستفهام وإعطائه البعد التّداولي في الحجاج التّداولي.

11) قال الله تعالى: ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾**﴾[آل عمران: 101]

الاستفهام في الآية أدّى إلى إنجاز فعل مستلزم مقاميا، وقد أدّى إلى حجّة وقوة حجاجية تمثّلت في أنّه لا حجّة على من كفر بالله ورسوله لأنّه قد سمع آيات الله وصدّق بها وعاصر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وسمع منه الآيات المعجزات فلا حجّة على من يكفر وخاصّة من كان مع الرّسول، بالإضافة إلى قوة حجاجية تتمثّل في حجّة ضد أهل الكتاب وهي أنّه لا يمكن للمسلم أن يكفر بعد إيمانه وسماعه آيات الله المعجزة والإيمان بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص:408

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص:408

يقول **الشّيخ اطفيّش** في تفسير للآية: «﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ**﴾ تعجّب للسّامع وإنكار للّياقة الكفر مع قوّة أسباب الإيمان وقطع الكفر»[1]نجد أنّ الشّيخ في تفسيره للآية بيّن موقع تأثير الفعل الكلامي في المتلقّي وهو بمثابة حجّة، وعليه نقول بالاصطلاح التّداولي أنّ القوّة الحجاجية للاستفهام هي أنكار الكفر في حالة تواجد أسباب الإيمان والحجج الظّاهرة على صدق نبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم أي قد أقيم عليكم الحجّة ويعرف هذا بالحجاج التّداولي، بالإضافة إلى أنّ الشّيخ بيّن النّتيجة من القوّة الحجاجية للاستفهام في تفسيره حيث استشهد بآية فيقول: « قال الله عزّ وجل لداود عليه السّلام :«من اعتصم بي دون خلقي جعلت له مخرجا ولم تكدّه السّماوات والأرض، ومن يعتصم بمخلوق دوني قطعت أسباب السّماء دونه، وأسخت الأرض من تحته».[2]

12) قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ**﴾ [آل عمران: 106]

الاستفهام في الآية أدّى إلى قوة حجاجية أثّرت في المتلقّي، وهي عبارة عن حجّة ضد أهل الكتاب تبيّن لهم قدرة الله عزّ وجل في خلقه، هذه حجّة للرّسول صلّى الله عليه وسلّم يثبت بها قدرة الله عزّ وجل ضد أهل الكتاب والمنافقين والمرتدّين، توقف بها مجادلة أهل الكتاب: وهي حجّة ضد الذّين كفروا تبيّن لهم جزاءهم يوم القيامة وهو نار جهنم بسبب كفرهم.

نجد أنّ **الشّيخ اطفيّش** في تفسيره للآية قد بيّن موقع الحجّة حيث يقول: «الاستفهام توبيخ للكافرين، وتعجيب للمنافقين، [...]،﴿**فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ**﴾ أمر إهانة بالشّروع في أوّ العذاب، ولا يزال يزداد، أو أمر تسخير بأن تذوق العذاب كلّ شعرة وكلّ جزء من أبدانهم، شبّه العذاب بشيء يذاق، [...] بسبب كونكم تكفرون أو عوضه»[3]هنا بيّن الشّيخ نتيجة القوّة الحجاجية للاستفهام، وهو حجّة من الله تعالى يثبت فيها جزاء من يكفر بعد بيان آيات الله وبعد إيمانهم، فهذه حجّة يثبت فيها الله حكمه على الكفّار والمنافقين وعليه نقول إنّ **الشّيخ أطفيش** وضّح وبيّن موقع الحجّة والقوة الحجاجية للاستفهام، لذلك نقول أنّ هذا داخل في الحجاج التّداولي.

---

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 410.

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص: 410.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص: 410.

وفي الأخير نقول إنّ للاستفهام قوة حجاجية جاءت لتؤدي وظيفة حجاجية تخدم الدّين وموجهة للإنسان عامة وقد أشار إلى هذا **الشيخ أطفيش** وهذه الحجج هي:

- ✓ تحذير المسلمين من الكفار، ومن الردّة عن دين الله.
- ✓ بيان جزاء من يكفر بعد بيان آيات الله وأنّه لا حجة لمن كفر بعد بيان آيات الله ودينه.
- ✓ إثبات وجوب فريضة الحج والدعوة إليها.
- ✓ اثبات كفر أهل الكتاب وكذبهم، وإبطال كل حججهم ونفيها.
- ✓ نفي حجج أهل الكتاب الباطلة في أمر ديانة ابراهيم عليه السلام.
- ✓ نفي اتخاذ النبيئين والملائكة أرباباً وإثبات وحدانية الله وحده لا شريك له.
- ✓ إثبات أنّه لا يقبل دين غير دين الاسلام وأن كل الانبياء مردهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: دعوة المسلمين للجهاد في غزوة أحد وتحذيرهم من المنافقين والمرتدين.

في هذا المطلب أستنبط دلالة الاستفهام الدالة على الحجاج في التداولية من قصة غزوة أحد استنادا إلى رأي الشيخ أطفيش.

1) قال الله تعالى: ﴿**إِذْ تَقُولُ لِلْمُومِنِينَ أَلَنْ يَّكْفِيَكُمْ أَنْ يُّمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾**﴾ [آل عمران: 124]

الاستفهام أدّى إلى إنجاز فعل مستلزم مقاميا هو التذكير والحث والوعد والتقرير، للتأثير في المتلقي بقوة حجاجية هي إقناع المسلمين في غزوة أحد أنّ الله سينصرهم وأنّهم يجب عليهم أن يثقوا في الله وأنّ النصر ليس بأيديهم وأن يأخذوا العبرة من الحوادث السابقة، وإثبات الرسول صلى الله عليه وسلم صدق ووعد الله للمسلمين، ودعوة المسلمين للصبر والثقة في الله.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره وبيانه للحجة: «﴿**أَلَنْ يَّكْفِيَكُمْ أَنْ يُّمِدَّكُمْ** ﴾ بعينكم و يقال في الزيادة مده مدا و قيل: أمده في الخير و مده في الشر و الإمداد و المد إعطاء الشيء حالا بعد حال [...]﴿**رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ** ﴾ من السماء الثالثة الاستفهام توبيخ أو تقرير وكان النفي بـ(لن)[...] وكلمة لن للإشهار بأنهم كانوا حينئذ كالآيسين من النصر لضعفهم و قلتهم بالنسبة لعدوهم وفي وصفهم بالإنزال تعظيم»[1]وعليه نقول إنّ الشيخ في تفسيره بيّن حجة الاستفهام وهي التوبيخ والتقرير، حيث إنّ الاستفهام جاء بحجة وهي توبيخ المسلمين في غزوة أحد بسبب عدم صبرهم، وتنبيههم أن الله قد أمدهم بالخير في غزوة بدر حيث صبروا فجزاهم الله، وما يثبت هذه الحجة هو النفي حيث قال الشيخ إنّ النفي جاء لنفس الحجة وهي أن المسلمين يأسوا من النصر، وحجة أخرى هي تقرير المسلمين على أن الله قد نصرهم وأمدهم بالملائكة حين صبروا وهذه هي القوة الحجاجية للاستفهام فيقول: «لم يمدوا في أحد لأنه شرط للإمداد الصبر والتقوى وإتيان كأصحاب كرز ولم يأتوا»[2]وعليه نقول الغرض من الاستفهام هو التأثير في المتلقي للاحتساب والاعتبار من التجارب السابقة والصبر في الحياة وعدم اليأس.

[1]– الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج2، ص: 450.

[2]–المصدر نفسه، ج2، ص:451.

2) قال الله تعالى: ﴿وَالذِين إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً اَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَّغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: 135]

الاستفهام أدّى إلى إنجاز فعل مستلزم مقاميا هو النّفي الذّي أريد به الإخبار والتّأثير في المتلقّي بالتّنبيه والوعد لأداء وظيفة حجاجية، حيث الاستفهام أدّى إلى قوة حجاجية هي عبارة عن نتيجة مفادها أنّ الله يغفر الذّنوب لمن تاب وعمل صالحا واستغفر الله، أي إنّ الاستفهام الوارد هو عبارة عن نتيجة لمجموعة من الحجج الموجّة إلى المسلمين والمذنبين عامّة وهو أنّ من يعمل صالحا ويستغفر الله ولكنّه أذنب فإنّ الله سيغفر له ذنوبه ما إذا استغفر وندم على ذنبه وترك الإصرار، فإنّ النتيجة هي غفران الذّنوب، بالإضافة إلى أنّ قوله: ﴿وَمَنْ يَّغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلاَّ ٱللَّهُ﴾ هو حجّة ودليل قاطع لإقناع المتلقّي وهم الذّين يتّخذون الأصنام آلهة وأهل الكتاب الذّين يدّعون أنّ غفران الذّنوب لا يكون من عند الله بل بواسطة، أقنعهم الله بحجّة ودليل قاطع أثبت بأسلوب التّأكيد أنّ الله يغفر الذّنوب.

يبيّن **الشيخ أطفيّش** أنّ ذلك الاستفهام جاء ليؤدي وظيفة حجاجية حيث يقول الشيخ: «﴿وَمَنْ يَّغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾ الاستفهام نفيّ ﴿إِلاَّ ٱللَّهُ﴾ بدل من ضمير يغفر ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ من الفواحش وظلم النفس بل أقلعوا ، ثمّ إن عادوا أقلعوا وهكذا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّ ما فعلوه معصيّة ،أي لم يصرّوا عالمين أنّه معصية، وهذا على عهد رسول الله لمن لم يصله خبر المعصيّة، وأمّا بعده فلا عذر»[1] نجد أنّ الشيخ بيّن أنّ الاستفهام ليؤدي حجة وهي النفي أي لا يغفر الذنوب إلاّ الله، أي أنّ الله يغفر الذنوب لعباده إن لم يصرّوا، وسبب قول الشيخ بأنّ الاستفهام هو نفي قصد به أنّه جاء كنتيجة ليثب مجموعة من الحجج هي أنّ من فعل فاحشة وظلم نفسه ثمّ ذكر الله، فاستغفر لذنوبه، ويؤكدها، وهذه قوة حجاجية للاستفهام وهذا داخل في الحجاج التداولي، إذن نقول أنّ للشيخ بعدا تداوليا في الحجاج، كما أنّ الشيخ ذكر أسباب نزول الآية التي

[1]– قطب الأيمة الشّيخ الحاج امحمّد اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:11

فيها استفهام ومقامها ليثبت قوّتها الحجاجية ويبيّن حجّتها لإقناع المتلقّي وهو المذنب ومرتكب المعاصي، حيث نجد **الشيخ اطفيّش** يسرد بعض الوقائع في أسباب النزول لإقامة الحجّة وبيانها وإيصالها للمتلقّي بوضوح ويفهم الغرض من ذلك الاستفهام فيقول **الشيخ أطفيش**: «آخى صلى الله عليه وسلّم بين ثقفي وأنصاري فسافر معه صلى الله عليه وسلّم في غزوة، فاستخلف الأنصاري على أهله، فدخل يوما دار الثقفي فوافى زوجه عارية من مغتسل، فأراد قبلتها فسترت وجهها بيدها فقبّل يدها، وندم وخرج تائها نادما، ولما رجع من سفره بحث عنه فوجده في صحراء ساجدا مستغفرا من ذنب، قائلا: خنت أخي، فقال له: أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بذنبك فاخبره، وضمّ ابن التيهان التمّار امرأة جاءته تشري التمر وقبّلها وندم ،واخبره صلى الله عليه وسلّم فنزلت فيهما، وقال هي لكل مسلم»[1]وهذه الحادثة التي سردها الشيخ تثبت نتيجة من يندم على معصية ويتوب إلى الله وهي غفران الذنوب من الله، وعليه نقول إنّ تلك الحادثة هي عبارة عن حجّة تثبت نتيجة القوّة الحجاجية للاستفهام وهذا داخل ضمن الحجاج التداولي حيث إنّ الفعل الكلامي غير مباشر و هو النفي أدى إقناع المتلقي و التأثير فيه ويدرك أنّه لا يغفر الذنوب إلاّ الله.

3) قال الله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ** ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران: 137]

الاستفهام في الآية أدّى إلى أفعال كلامية غير مباشرة قصد بها التّأثير في المتلقّي حيث أدّت إلى قوة حجاجية وهي اقتناع المؤمنين بأنّ الله سيهلك الكفّار والمكذّبين، وأنّ الله سينصر المسلمين في الجهاد وفي أمور الدّنيا، بالإضافة إلى قوة حجاجية للاستفهامية وهي عبارة عن نتيجة لمجموعة من الحجج وهذه النّتيجة هي أنّ الله سيعاقب الكفّار ويهلكهم وينصر المسلمين.

نجد أنّ **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية بيّن نتيجة القوة الحجاجية للاستفهام يقول في تفسيره: «[...] وذلك للمؤمنين زيادة تثبيت ﴿**فَانظُرُواْ**﴾ بأبصاركم وقلوبكم، ﴿**كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ**

[1]– الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:11

﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ لرسلهم من الإهلاك آخر الأمر بعد إمهال»[1]ونتيجة القوة الحجاجية للاستفهام هي زيادة تثبيت للمؤمنين وهذا داخل ضمن الحجاج التداولي.

4) قال الله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾ [آل عمران: 142]

قد أدّى الاستفهام إلى أفعال كلامية غير مباشرة وهي الإنكار والنّهي وقد قصد به المتكلّم التّأثير في المتلقّي بأن يقنعهم بالصّبر والجهاد، حيث قد أدّى الاستفهام إلى قوة حجاجية وهي عبارة عن حجّة من الله للمسلمين يقنعهم فيها بأنّ يصّبروا في الجهاد وإنّ الله سيجزيهم على أعمالهم، كما وتعتبر عبارة عن نتيجة لمجموعة من الحجج وهي ما جاء في الآية: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: 137] والآية التّي بعدها حيث يدعوا فيه الله المؤمنين للعمل الصّالح والجهاد، وأنّ الله سيهلك القوم الكافرين وهم عليهم بالصّبر، فجاءت الآية ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ كنتيجة وحجّة قاطعة على أن الله لن يدخل في جنّته إلاّ من صبر في الجهاد وعن الابتلاء وفي أمور الدّين، بالإضافة إلى أنّنا نجد في الاستفهام حجّة ونتيجة حيث يقول: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ وهي حجّة، والنتيجة ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

نجد أنّ **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية بيّن الحجة والدليل الذي أصدره الاستفهام حيث يقول: «﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾ بل أظننتم أو بل ظننتم، أو أظننتم؟ والخطاب لمن انهزم من المؤمنين يوم أحد، ﴿أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ انكار للياقة أن يدخل المنهزمون يوم أحد من المسلمين الجنة، والحال أنهم لم يجمعوا بين الجهاد والصبر على شدائده، فيعلم الله جمعهم، وإذا كان علمه اللّه، وإن لم يكن لم ينجز أن يقال: علم الله

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:20

أنّه كان إلاّ أنّ جهادهم وصبرهم متوقّعان، فكان النفي لذلك بـ: (لـمّا) أي ستجاهدون وتصبرون، فيعلم الله أنّكم جاهدتم وصبرتم، وأمّا الآن فجاهدتم ولم تصبروا إذ فررتم»[1]وعليه نقول إنّ **الشيخ أطفيش** بين مجموعة الحجج ونتائج القوة الحجاجية للاستفهام وهي انكار أن يدخل المنهزمون يوم أحد من المسلمين الجنّة، والدليل هو أنّ المسلمين لم يجمعوا بين الجهاد والصبر على شدائده، وهذا داخل ضمن الحجاج التداوليّ بالإضافة إلى أنّ الشيخ بيّن أنّ الآية هي دليل عليّ: «أنّ الجهاد فرض كفاية»[2]

5) قال الله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَنْ يَّنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾**﴾[آل عمران: 144].

قصد المتكلّم من الاستفهام أفعال كلامية غير مباشرة هي: الإنكار، التّنبيه والتّعجّب والتّي أثّرت في المتلقّي وقد أدّت إلى قوة حجاجية، هي حجّة الله عليهم في أنّهم لم يصبروا وقد تمنّوا الموت وهم لم يروه، فالاستفهام قد أدّى إلى نتيجة للحجج السّابقة وهي عدم صبرهم وحيث رأوه انهزموا ولم يصبروا، فجاءت واقعة موت الرّسول كامتحان لهم تثبت حجج الله عليهم في الجهاد ومصاعبه، وكذلك تمنّيهم للموت وهم لم يروه.

يقول **الشيخ اطفيش** في تفسيره للآية: «﴿**أَفَإِيْن مَّاتَ**﴾ بلا قتل، ﴿**أَوْ قُتِلَ**﴾ كسائر الناس الرسل وغيرهم، ﴿**إِنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ**﴾ رجعتم إلى الكفر بعد إذ خلّفتموه، توهموا أنّه نبيء لا يموت وأنّه إن مات لم يجب البقاء على دينه،[...]، ويجوز أن يكون المرد النهي عن الردة لمن لم تقع منه، وقيل في اصل الردة وقيل: فيهم وفي إظهار المنافقين الشرك، وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم»[3]نجد أنّ الشيخ بين الحجة التي تعرف في التداولية بالقوة الحجاجية للاستفهام، وهي كما قال في تفسيره النهي عن الردة وإظهار المنافقين للشرك فهذه نتائج القوة الحجاجية للاستفهام

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:20-21

[2]-المصدر نفسه، ج3، ص:21

[3]- المصدر نفسه، ج3، ص:23

بالإضافة إلى أن **الشيخ أطفيش** في تفسير بين الحجة من سؤال الله سبحانه وتعالى لقومه حيث يبين الشيخ أن ذلك الاستفهام قد أدى إلى حجة استنتجها من سياق القصة، حيث يقول: «وقيل: (هم)المهاجرون والأنصار، كأنس بن النضر عم انس بن مالك لأمه، قال: (يا قومي إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد حي لا يموت، وما تصنعون بالحياة بعده؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، اللهم إني أعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء-يعني ضعفاء المسلمين- وأبرأ ممّا يقول هؤلاء) يعني المنافقين»[1]وعليه نقول إنّ **الشيخ أطفيش** استدل بهذه الحادثة ليثبت أنه إن قتل النبي فإن دينه لا ينفى، وهذا داخل في الحجاج التداولي.

6) قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا**﴾ [آل عمران: 154].

الاستفهام في هذه الآية أدّى إلى قوة حجاجية هي بمثابة حجّة تثبت الخوف والهم الذّي سكن قلوب المنافقين فهذا الاستفهام هو حجّة تثبت قلق الجماعة الذين لم يغشاهم النّعاس وخوفها، كما كذلك تثبت خوفهم من الموت، وكذلك هي دليل تثبت كل الحجج التّي جادلوا بها الرّسول المذكورة في الآية السّابقة لهذه الآية وهي خوفهم من الموت، وعدم صبرهم على الجهاد، والذّنوب التّي اقترفوها، وانقلابهم على أعقابهم كل هذه الصّفات اتّبعتها دليل وحجّة هي عبارة عن نتيجة قاطعة جامعة لكل الحجج هي هل لنا من الأمر في شيء؟ حيث أفصحوا بما في قلوبهم من عدم الإيمان والخوف بطريقة غير مباشرة، بالإضافة إلى حجّة تثبت عدم ثقتهم بالله والرّسول.

نجد أنّ **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية بيّن القوة الحجاجيه للاستفهام، وبيّن الحجة حيث يقول: «[...] الذي وعد الله رسوله من الظفر والنصر، استفهام انكار أو تقرير أو تعجب»[2]وعليه نقول إنّ القوة الحجاجية للاستفهام هي الانكار والتقرير والتعجب لغرض التأثير في المتلقي وهو

[1]- الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:24

[2]-المصدر نفسه، ج3، ص: 42

الرسول صلى الله عليه وسلم وإقناعه بأنّ الأمر ليس بأيديهم، ثم نجد أن **الشيخ أطفيش** يثبت هذه الحجة بدليل حيث يقول: «أو لما كثر القتل في الخزرج قال ابن أبيٍّ: (مالي أمر مطاع، لو أطاعني محمّد ولم يخرج، لم يكن هذا القتل) فالأمر شأن الشورى»[1]فهذه حادثة سردها الشيخ وهي عبارة عن حجة ليثبت بها نتيجة القوة الحجاجية للاستفهام، وعليه نقول إنّ هذا داخل ضمن الحجاج التداولي.

7) قال الله تعالى: ﴿**إِنْ يَّنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ يَّخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾**﴾ [آل عمران: 160].

الاستفهام في قوله أدّى إلى قوة إنجازيه وهي بمثابة حجة تثبت للمسلمين أنّ النّصر من عند الله وأنّ ما أصابهم من هزيمة في غزوة أحد هو من عند الله، وأنّه يجب عليهم أن يصبروا ويرضوا بحكمه.

نجد أنّ **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية أشار إلى الحجج حيث يقول: «[...] تحريض على الطاعة المقتضية للنصر، وتحذير من المعصية المقتضية للخذلان، والاستفهام لنفي الناصر»[2] وعليه نقول إنّ الشيخ بيّن من خلال معنى تفسيره أن القوة الحجاجية للاستفهام أدّت إلى نتائج وحجج هي التحريض على الطاعة المقتضية للنصر والتحذير من المعصية المقتضية للخذلان، أمّا النتيجة العامة والحجة الشاملة هي نفي النصر من غير الله وعليه نقول أنّ الاستفهام جاء ليثبت هذه القضية، وهذا بمثابة الحجاج التداولي.

8) قال الله تعالى: ﴿**أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾**﴾ [آل عمران: 162].

الاستفهام في الآية أدّى إلى إنجاز فعل الإنكار والنّفي والوعيد والذّي أدّى إلى قوة حجاجية هي عبارة عن حجّة تثبت أنّ الله بصير بعباده حيث يقتنع المتلقّي من أنّ الله سيجازي كلّ إنسان على حسب أعماله ويدرك أنّ وعد الله حق.

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص: 42

[2] –المصدر نفسه، ج3، ص :55

نجد أنّ **الشيخ أطفيش** جاء بمجموعة من الحجج هي: «﴿أَفَمَنِ إِتَّبَعَ رِضْوَانَ ٱللَّهِ﴾ بطاعته وطاعة رسوله[...]، وثبتت له الجنة أو اتبع موجب رضوان الله»[1]في هذا الجزء نجد أن الشيخ بين الحجة وهي ثبوت الجنة لمن يتبع رضوان الله، وهذه بمثابة نتيجة للقوة الحجاجية للاستفهام، وهذا يدخل ضمن الحجاج التداولي، بالإضافة إلى قوة حجاجية أخرى هي في قوله :«﴿أَفَمَنِ إِتَّبَعَ﴾ والاستفهام للنفي و(من) موصولة أو موصوفة، ﴿كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ﴾ عقاب على معاصيه وغلوله وفراره وكفره»[2] وعليه فإن الحجة هي النفي، أي إثبات أنه من إتّبع رضوان الله ليس كمن باء بسخط فإن مأواه جهنم، بالإضافة إلى حجة أخرى هي عقاب العاصي ومن باء بسخط من الله، وهذا داخل ضمن الحجاج التداولي.

9) قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: 165]

الاستفهام في الآية أدّى إلى قوة إنجازية غير مباشرة أثّرت في المتلقّي هي عبارة عن قوة حجاجية أدّت إلى حجّة تثبت عصيان المسلمين للرّسول صلّى الله عليه وسلّم في غزوة أحد، وكذلك هي عبارة عن دليل يثبت أنّ من عصا الله والرّسول فإنّه سيصاب بمصيبة كاختبار له ليتوب من ذنبه.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره: «[...]أي أتنسون النصر السابق ببدر وأحد؟ وترك المركز و الإلحاح بالخروج وقد كرمه»[3]نجد أن الشيخ قد بين موقع الحجة وهي أثبات أن الله قد نصرهم وعليهم الاعتبار من النصر السابق، وهذه هي نتيجة القوة الحجاجية للاستفهام، وهذا داخل ضمن الحجاج التداولي.

10) قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: 165].

---

[1] _ الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:59

[2] _ المصدر نفسه، ج3، ص:59

[3] _ المصدر نفسه، ج3، ص:64

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ أنجز فعلا كلاميا غير مباشر وهو التّعجّب والإنكار حيث أدّى إلى قوة حجاجية هي عبارة عن محاولة الغزاة المنهزمين في غزوة أحد بإيجاد حجج وأدلّة ليثبتوا بها أنّهم غير مسؤولين عن انهزامهم وأرجعوا اللوم إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

يقول **الشيخ أطفيش** في تفسيره للآية واستنتاجه للحجج: «أي هذا الذي أصابنا من القتل والانهزام، مع أنّا مؤمنون بنصر الله ورسوله، يقوله المنافقون إنكارا لنبوءته، وضعفاء المؤمنين تعجبا وطلبا لوجه ذلك»[1] الحجج هي إثبات أنّ الانهزام مهما كان سيصيب المؤمنين اختباراً لهم، وتعجّب المنافقين من انهزام المؤمنين، وهذه الحجج هي نتيجة للقوّة الحجاجية للاستفهام وهذا داخل ضمن الحجاج التداولي.

11) قال الله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَٰتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ [آل عمران: 183].

الاستفهام في الآية أدّى إلى إنجاز أفعال غير مباشرة هي الإنكار والتّعجّب والتّكذيب، وقد أدّت إلى قوة حجاجية هي بمثابة حجّة من الرّسول عليه السّلام ليكذّب بها أهل اليهود ويبطل حججهم ويكذّبها، فاستفهام الوارد من الرّسول هو عبارة عن حجّة يثبت بها كذب أهل اليهود وخداعهم للأنبياء.

نجد أنّ **الشيخ أطفيش** في تفسيره لهذه الآية بيّن مجموعة من الحجج يقول في ذلك: «[...] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم أنّ توقّفكم عن الإيمان انتظار للبيان، لم تكتفوا بالكفر بهم مع المعجزات حتّى قتلتموهم»[2] جاء الاستفهام ليؤدي قوّة حجاجية هي إبطال دعوى أهل الكتاب في أنّ توقفهم عن الإيمان كان انتظارا للبيان، بالإضافة إلى حجة أخرى هي أنّ أهل الكتاب لم يكتفوا بالكفر بالمعجزات فقط بل قتلوا أنبياءهم وهذا داخل ضمن الحجاج التداولي وقد بيّن **الشيخ أطفيش** ذلك في تفسيره وأعطى لها بعدا تداولياً.

[1] – الشّيخ الحاج أمحمد بن يوسف اطفيش، المصدر السابق، ج3، ص:65

[2] –المصدر نفسه، ج3، ص:94

وفي الأخير نقول إنّ للاستفهام قوة حجاجية جاءت لتؤدي وظيفة حجاجية تخدم الدّين وموجهة للانسان عامة وقد أشار إلى هذا **الشيخ أطفيش** وهذه الحجج هي:

- ✓ دعوة المسلمين الذين لم يعملوا صالحا والذين عصوا الله وكل مسلم إلى التوبة والندم على الذنوب والتوبة فإنّ الله يغفر الذنوب لمن تاب وعمل صالحًا.
- ✓ إثبات الحكم الشرعي في التوبة وهي أنّ كل مقترف لذنب عليه أن يتوب ويندم على ذنبه ويترك الاصرار عل الذنب ويستغفر الله لكي يغفر له ذنبه فهذه هي عبارة عن شروط التوبة النصوح.
- ✓ إنّ الله سيجازي كل نفس صبرت وجاهدت في سبيل الله.
- ✓ دعوة المسلمين إلى احتساب أمرهم لله.
- ✓ إنّ الله يختبر النفس البشرية في أمور الحياة لتظهر النفس المؤمنة.
- ✓ إنّ الفوز بالجنة يأتي بالصبر في الحياة وما من إنسان في هذا الكون إلاّ سيختبره الله ليعلم بإيمانه.
- ✓ دعوة المسلمين للاحتساب والاعتبار من نصرهم في غزوة بدر.
- ✓ بيان صدق النبي في عدله والعمل على إصلاح أمته.
- ✓ دعوة المسلمين للوحدة ولم الشمل وعدم التفرقة.
- ✓ تنبيه المسلمين على أنّ كل نفس ذائقة الموت وكل نفس ستموت حتى الأنبياء ستموت.

لكل بداية نهاية فها نحن قد وصلنا إلى خاتمة هذا البحث، وما يسعني الآن إلّا أن ألخص النتائج التي توصلت إليها وهي كالآتي:

- إنّ السورة تحتوي على مجموعة كبيرة من الاستفهامات وبأنواعه المختلفة حيث إنّ الاستفهام بـ{الهمزة} هو الذي طغى على السورة بعدد: 12، حيث جاء ليؤدي فعل الانكار إنكار أعمال أهل الكتاب وكفرهم بالله، بالإضافة إلى فعل آخر وهو هداية المسلمين وتنبيههم من الضلال وإتباع شهوات الدنيا الزائلة وبيان حجة لأهل الكتاب وهي أنه لا يقبل دين غير الاسلام وأنّ كل الديانات والأنبياء يرجعون إلى الاسلام، ثم يأتي النوع الآخر من الاستفهام بـ{ لم} بعدد:7، حيث جاء ليؤدي وظيفة وهي انكار وإبطال حجج أهل الكتاب الباطلة ودحض كل ادعاءاتهم الباطلة في معرفة الدين، والتعجب من افترائهم وكذبهم وهم يعلمون الحق، وإثبات حجة وهي كفر أهل الكتاب ونواياهم الخبيثة ضد الدين والاسلام، ثم يليه النوع الآخر من الاستفهام بـ{كيف}بعدد:4، حيث جاء ليؤدي وظيفة تحذير وتهويل الكفار والنفس الانسانية العاصية لله من هول يوم القيامة لمن لم يعمل صالحاً وبيان حجة هي إنّ كل نفس ستحاسب يوم القيامة وستجازى على أعمالها، وكذلك يليه الاستفهام بـ{أنى} بعدد:4، وهذا النوع تميز على أنّه جاء في القصة القرآنية في قصة مريم وزكريا وفي قصة غزوة أحد وجاء لغرض التعجب والاستعظام من قدرة الله في خلقه، أما عن الاستفهام بـ{من}نجده بعدد:3، حيث جاء ليؤدّي حكما شرعياً هو شروط التوبة وأنّ الله يغفر الذنوب لمن تاب، أما عن الاستفهامات الأخرى بـ{هل وأيّ وأم} فنجد لكل نوع استفهامٌ واحد.
- الغرض الضمني للاستفهام هو الفعل الكلامي غير مباشر المستلزم مقامياً.
- الاستفهامات الواردة في سورة آل عمران هي عبارة عن فعل كلامي وتؤدي إلى قوة حجاجية.
- إنّ أغلب الاستفهامات كان غرضها الضمني أي الفعل الكلامي غير مباشر هو الإنكار والتعجب بنسبة كبيرة لأنّ أغلب الاستفهامات موجهة لأهل الكتاب، ثم تأتي الأغراض الأخرى بنسب أقل.
- إنّ كل الآيات المتضمنة الاستفهام في سورة آل عمران لديها أغراض ضمنية أي أفعال كلامية غير مباشرة إلاّ الآية: 52 نجد أنّ الاستفهام الوارد فيها حقيقي أي أنجز فعلا كلاميا مباشر هو طلب الفهم هذا في تحليلنا، أما عن تفسير الشيخ أطفيش نجد أنّه في بعض الآيات لم يصرح بالفعل الكلامي غير مباشر بل لمح إليه وهذه الآيات هي: (الآية: 25-37-65-66)، في هذه الآيات

نجد أنّ الشيخ لم يصرح بالغرض الضمني، بالإضافة إلى أنّنا نجد أنّ بعض الآيات اعتبر أنّ الاستفهام فيها حقيقي وهذه الآيات هي: (الآية:44-52-65-70-98-165-183)، أما في المجموعة الأخرى فنجد فيه تصريح واضح للغرض الضمني أي الفعل الكلامي غير مباشر وهذا الاختلاف يعود إلى تعدد وتنوع معاني الاستفهام وأغراضه، حيث كل نوع من الاستفهام يحمل العديد من الاغراض وهذا لتنوع السياق المتلقي وظروف إنتاج الخطاب وطبيعة الخطاب القرآني الذي يتميز بتنوع المعاني على حسب المتلقي.

- وجدنا اختلافا كبيرًا بين ما قمنا بتحليله من آيات فيما يخص نوع الاستفهام حقيقي أو غير حقيقي وما فسره الشيخ أطفيش، حيث وجدنا أنّ استفهاما واحدا كان حقيقيا ولديه قوة إنجازية مباشرة وهو في الآية: 52، أمّا بالنسبة للشيخ فنجد عنده مجموعة كبير من الآيات التي اعتبر أنّ الاستفهام فيها حقيقيا وهو: (الآية:44-52-65-70-98-165-183)، أمّا باقي الآيات فنجد أنّ الاستفهام فيها قد أدى إلى إنجاز فعل كلامي غير مباشر.
- لم نجد اختلافا كبيرًا في الحجاج التداولي للاستفهام بين ما توصلنا إليه وبين ما توصّل إليه الشيخ توافق في استنتاج القوة الحجاجية.
- وجدنا أنّ الشيخ أطفيش لم يستعمل المصطلحات التداولية إلا نادراً مثل مصطلح المتكلم والخطاب إلاّ أنّنا نجده يشير إلى التنوع في المتلقي على حسب السياق وهذه أهم خاصية في التداولية، كما وجدنا لديه أبعادا تداوليه حيث كان يبين الأغراض الضمنية للاستفهام وهي الأفعال الكلامية غير مباشرة إن وجدت وكان لا يستعمل مصطلح الفعل الكلامي أو إنجاز فعل بل كان يقول: مثال:(الاستفهام للإنكار والتعجب)، كما وجدنا كذلك إشارة إلى القوة الإنجازية وتدعيمها ولكن ليس بالمصطلح التداولي حيث كان يشير إلى ذلك بمصطلح: (للتأكيد ،أبلغ) وغيرها من المصطلحات، بالاضافة إلى إشارته إلى الفعل الكلامي الكلي الشامل بحيث يذكر مجموعة من الأغراض لوحدها ويفرد غرضا لوحده مثل:(الاستفهام للإنكار والتعجب، ثم يقول: الاستفهام للنفي) فنجد أنه خصّ النفي كفعل كلامي غير مباشر كلي، كما أنه استعمل الاستراتيجية التلميحيه في بيانه لأغراض الاستفهام أي الفعل الكلامي غير مباشر فكان يلمح ولا يصرح بالغرض الضمني للاستفهام، بالإضافة إلى أنّنا نجد أنه بيّن وأشار إلى مبدأ التأدّب والتعفف

وهذا في الآية:15-47 وقد أشرنا إلى ذلك، بالإضافة إلى أنّه كان يبّن الفعل التأثيري وهو عبارة عن أحكام شرعية كان يشير إليها ويبيّنها .

- وجدنا أنّ الشيخ أطفيش بين القوة الحجاجية للاستفهام بحيث يبيّن الحجة التي يبيّنها ذلك الاستفهام ببعدها التداولي ويبين التدرج في الحجة من الحجة الضعيفة وصولا إلى الحجة القوية وهو ما يعرف بالسلم الحجاجي، وعادت ما يدعم تلك الحجة ويثبتها أو ينفيها بأقوالٍ من عنده أو بآية من السورة الأخرى أو يورد حديثا أو قولاً عن بعض المشايخ أو المفسرين.

أحمد الله عز وجل الذي وفقني إلى إنجاز هذا العمل، والوصول إلى خاتمته فله سبحانه و تعالى من الفضل والمنة والشكر الدائم، فإن أصبنا فمن الله وحده، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

قائمة المصادر:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- قطب الأيمة الشّيخ الحاج امحمّد اطفيش، تيسير التفسير، تح: الشّيخ إبراهيم طلاّي، المطبعة العربية، غردية، دط، (1997م)، ج2، ج3

قائمة المراجع:

1) أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت،ط1، 1980م.

2) أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلام؟، تر: عبد القادر القينيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، دط، 1991م.

3) جلال الدين أبي عبد الرحمان السيوطي، أسباب النزول، الكتب الثقافية، لبنان، ط1، (2002م-1422ه).

4) جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م.

5) جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 2006م.

6) حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، دار الكتب الحديث، الأردن، ط:2، 2014م.

7) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، دار بيت الحكمة، الجزائر، ط:1، 2009م.

8) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط7، (1971م)، مج1.

9) صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ط1، (2008م).

10)الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدّار التونسية للنشر، تونس، دط، (1984م)، ج3.

11)طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مركز الثقافي العربي، المغرب، ط:2، 2000م.

12)عبد الهادي بن ظفاري، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط:1، 2004م.

13)فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش ،مركز الإنماء القومي، المغرب، الرباط، دط، 1986م.

14)فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر حباشة، دار الحوار للنشر، سورية، ط1، 2007م.

15)محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة دراسة تداولية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علوم السان العربي، جامعة الحاج لخضر باتنة، (2014م).

16)محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجديدة، مصر، دط، 2002م.

17) محمود الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان، دط، دت، ج3.

18)مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط:1، 2005م.

19)مصطفى بن ناصر وينتن، آراء الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش العقدية، جمعية التراث القرارة، الجزائر، دط، (1996م).

20)هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، مذكرة من متطلبات شهادة الماستير في الأدب العربي، جامعة ورقلة، (2013م).

21)يحي بن بهون حاج أمحمد، رحلة القطب الشيخ امحمد بن يوسف بن عيس أطفيش الشهير بـ "قطب الأيمة"، ط1، (2007م)، غرداية.

فـــــــــهرس الآيـــــات

السورة	نـــــــــص الآيـــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
آل عمران	﴿أَلَمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾	2-1	8
//	﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾	15	82-24
//	﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾	20	84-26
//	﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾	23	85-27
//	﴿فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾	25	86-30
//	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ	37	87-32

		بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	
//	40	﴿قَالَ رَبِّ أَنّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾	88-33
//	44	﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾	89-35
//	47	﴿قَالَتْ رَبِّ أَنّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	90-37
//	52	﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾	91-39
//	65	﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	93-41
//	66	﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	95-43
//	70	﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾	96-45
//	71	﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	97-46
//	80	﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم	98-48

	بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذَ اَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾		
//	﴿قَالَ ءَآ قْرَرْتُمْ وَأَخَذتُّمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىٓ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾	81	99-49
//	﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	83	100-51
//	﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	86	101-54
//	﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾	98	103-56
//	﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنَ ـامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	99	103-58
//	﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَنْ يَّعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	101	104-60
//	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلذِينَ اِسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	106	105-62
//	﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُومِنِينَ أَلَنْ يَّكْفِيَكُمْ أَنْ يُّمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾	124	107-64

//	﴿وَالذِيں إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً اَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَّغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلاَّ ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	135	108-65
//	﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِے ٱلاَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾	137	109-67
//	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾	142	110-69
//	﴿وَمَا مُحَمَّدُ اِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ اِنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَنْ يَّنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَّضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِے ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾	144	111-71
//	﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدَ اَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلاَمْرِ مِن شَےْءٍ﴾	154	112-72
//	﴿إِنْ يَّنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَّخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلذِے يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُومِنُونَ﴾	160	113-74
//	﴿أَفَمَنِ إِتَّبَعَ رِضْوَانَ ٱللَّهِ كَمَنْ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوِيهُ جَهَنَّمُ وَبِيسَ ٱلْمَصِيرُ﴾	162	113-75
//	﴿اَوَلَمَّا أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدَ اَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا قُلْ هُوَ	165	114-77

	مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾		
//	﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَٰتِ وَبِالذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	183	115-79
المائدة	﴿فَهَل اَنتُم مُّنتَهُونَ﴾	91	84-27
هود	﴿فَهَلۡ اَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	14	22
الرعد	﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾	33	52
مريم	﴿كٓهيعٓصٓ﴾	1	38
//	﴿وَلَمَ اَكُ بَغِيّاً﴾	20	38
طه	﴿ هَلَ اَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ اِلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلىٰ﴾	120	22
الأنبياء	﴿فَهَلَ اَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾	80	84-27
الرحمن	﴿هَلْ جَزَآءُ اْلِاحْسَٰنِ إِلاَّ اْلِاحْسَٰنُ﴾	60	22
المرسلات	﴿أَلَمْ نُهْلِكِ اِلاَوَّلِينَ﴾	16	22

فـــهـرس الـــمـــوضـــوعـــات

الـــمـــوضـــــــوع	رقم الصفحة
شكر وتقدير	
ملخص	
مقدمة	أ-ب-ج-د
تمهيد	5 - 22
التعريف بالمفسّر الشيخ أطفيش.	5-7
التعريف بكتاب تيسير التفسير.	7
التعريف بسورة آل عمران.	7-9
التعريف بالتداولية وبعض مفاهيمها (منهج الدراسة).	9-21
التعريف بأسلوب الاستفهام.	21-22
المبحث الأول: معاني الاستفهام الدالة على الأفعال الكلامية في السورة والتفسير.	23- 81
المطلب الأول: دلالة الاستفهام على إثبات الوحدانية.	23-40
إثبات وحدانية الله وأنّ الدين عنده هو الاسلام وتحذير المسلمين من الانغماس في شهوات الدنيا الزائلة.	23-32

قصة آل عمران واصطفاء مريم ونصرة الحواريين للنبيء عيسى عليه السلام.	40-32
المطلب الثاني: دلالة الاستفهام على بيان كفر أهل الكتاب والدعوة إلى دين الاسلام.	61-41
المطلب الثالث: الأفعال الكلامية في قصة غزوة أحد والدعوة للصبر والجهاد في سبيل الله.	81-62
المبحث الثاني: معاني الاستفهام الدالة على الحجاج في السورة والتفسير.	116-82
المطلب الأول: الحجاج في قصة آل عمران ومريم عليها السلام وإثبات توحيد الله.	92-82
المطلب الثاني: الحجاج في إثبات كفر أهل الكتاب وأن كل الأنبياء مردهم للإسلام.	106-93
المطلب الثالث: دعوة المسلمين للجهاد في غزوة أحد وتحذيرهم من المنافقين والمرتدين.	116-107
خاتمة	119-117
قائمة المصادر و المراجع.	120